لغز رحلة الموت

اعداد

صلاح محمد

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

٥١ش ابراهيم خليل المطرية

ت : ٢٢٥١١١١٠ – موبايل : ٠١٢٢٩٨٧١٢٣٧

اسم الكتاب : لغز رحلة الموت
(الاختيار الصعب)
المؤلــــــــف : صلاح محمد
الناشـــــــــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- ٠١٠٤٤٧٠٦٤٥
رقم الإيداع : ٨٠١٠
طبعة أولى : ٢٠١٦

فهرسة أثناء النشر

محمد ، صلاح
لغز رحلة الموت (الاختيار الصعب) /إعداد صلاح محمد – القاهرة .- ط١
مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع ، ٢٠١٦
٨٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك : ٧-٨٠-٦١٦٩-٩٧٧-٩٧٨
١- الألغاز
أ- العنوان ٧٩٣,٧٩٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا)

صدق الله العظيم

طه ١١٤

مُقَدِّمَة

عزيزى القارئ هذه مجموعة قصص وألغاز تحمل بين طياتها الكثير من الإثارة والتشويق فى محاولة منا لجذب القارئ لقراءة المجموعة القصصية للوصول فى النهاية إلى حل لغز تلك القصص حيث أن مسرح الجريمة يعتبر هو المفتاح الأول لحل لغز أي جريمة ولذلك فهو يسمى بالشاهد الصامت. وهو يعتبر اللبنة الأولى والهامة لبداية التعامل مع الجريمة، فإذا صلحت الإجراءات المتخذة التي يقوم بها فاحص مسرح الجريمة صلح التحقيق في القضية بأكملها والعكس صحيح.

في هذا الكتاب ، ستقرأ عن ألغاز وأسئلة مطلوب من القارئ حلها والوصول إلى الجانى فى كل لغز ، وستطلع على بعض الطوائف السرية والأماكن العجيبة وغير ذلك من المسائل والأحداث الغريبة حول العالم ، والغاية من هذا الكتاب هي التسلية والترفيه والتفكير وإيصال معلومة مفيدة توسع من أفق القارئ الثقافي ، لذلك دأبت على وضع الاسم الأصلي لموضوع القصة ليتمكن من يريد معرفة المزيد عنها من الوصول إلى مصادر إضافية .

ألغاز بعضها سهل وبعضها يحتاج لتفكير طويل، لكنها جميعاً ستنمي ذكاءك، وتمتع عقلك .

شارك الألغاز مع أسرتك وأصدقائك، فهي تصلح للجلسات العائلية اللطيفة الخالية وتمنحك وقتاً رائعاً من التواصل مع الآخرين.

.

لغز المنزل المسكون

مواجهة مرعبة مع الجن

نصيحة مني .. إذا كنت تنوي الانتقال للسكن في منزل قديم فأحرص على أن تسأل عن تاريخه وماضيه وذلك لكي تتفادى المفاجآت المزعجة مستقبلا حين تعلم ، على سبيل المثال، بأن المالك السابق مات مقتولا داخله أو انه كان منزلا سيء السمعة يعج بالموبقات .. أو ربما كان مغسلا للموتى تشبعت جدرانه برائحة الجثث!!. ربما تبتسم ساخرا عزيزي القارئ .. فأنت ستقول حتما بأن احتمال حدوث هكذا أمور، خصوصا قضية مغسل الموتى، هي احتمال ضعيف جدا بل ربما هي المستحيل بعينه. لكن على مهلك لا تتعجل الأمور كما فعلت عائلة سنيدكير عندما استأجرت منزلا قديما من دون أن تزعج نفسها بالسؤال عن ماضيه فإذا بذلك الماضي يطل عليها لاحقا ليحيل حياتها إلى كوابيس مرعبة اقتبست عنها هوليوود سيناريو أشهر أفلام الرعب لعام ٢٠٠٩.

في ٢٧ مارس عام ٢٠٠٧ تم افتتاح عرض فلم " The Haunting in Connecticut " في صالات السينما الأمريكية، الفلم احتل المرتبة الثانية بين أفضل عشرة أفلام أمريكية في نهاية الأسبوع الأول من عرضه.

الفلم مقتبس عن أحداث حقيقية لكنه لا يخلو طبعا من وقائع خيالية أضافها كاتب السيناريو متعمدا لكي يضفي المزيد من جو الإثارة والرعب.

القصة الحقيقية وقعت داخل احد المنازل القديمة في ولاية كونيتيكت الأمريكية وعايش أحداثها الواقعية أفراد عائلة سنيدكير (Snedeker Family) في عام ١٩٨٦، لكنها مثلها مثل جميع قصص الجن والأشباح أثارت خلال السنوات المنصرمة جدلا طويلا ومتجددا حول مدى صحة حدوثها ومدى صدق شخصياتها في وصف طبيعة ومجريات وقائعها.

قصة الفلم، باختصار ومن دون إفساد متعة المشاهدة، تدور حول عائلة كامبل الأمريكية التي تقرر استئجار منزل قريب من مستشفى علاج السرطان في كونيتيكت لغرض إبقاء ابنها ماثيو (مات) المصاب بالمرض قريبا من العناية الطبية المتخصصة، ولأن العائلة كانت تعاني من ضائقة مالية بسبب تكاليف العلاج الباهظة لذلك فقد وضعت نصب عينيها أن يكون إيجار المنزل المنشود ضمن الحدود المالية التي تستطيع تحمل أعبائها.

الأم سارا (أدت دورها الممثلة فيرجينيا مادسين) شعرت بأنها محظوظة حقا لأنها عثرت على منزل كبير طلب مالكه مبلغ إيجار اقل بكثير مما يستحقه، لكن دهشتها لرخص الإيجار تتلاشى سريعا حين تعلم بأن المنزل له ماضي سيء، إلا أنها قررت المضي في استئجاره رغم ذلك ومن دون أن تخبر زوجها بيتر وعائلتها حول الأمر.

لا تمضي مدة طويلة على سكنى عائلة كامبل في المنزل حتى يعثروا في القبو على غرفة صغيرة تحتوي على سجلات قديمة وأدوات كانت تستخدم في غسل وتهيئة جثث الموتى للجنازة والدفن، وعلى الفور تدرك العائلة بأن منزلهم الحالي كان في الماضي دارا للجنائز، ويترافق هذا

الاكتشاف المزعج مع حدوث بعض الأمور الغريبة والمخيفة داخل المنزل والتي تؤدي إلى كشف المزيد عن ماضيه المؤلم .. ذلك الماضي التي يصارع أفراد عائلة كامبل فيما تبقى من وقت الفلم للتخلص من شروره.

القصة الحقيقية

عائلة سنيدكير الحقيقية (عائلة كامبل في الفلم) تتكون من الزوجان كارمن و الين وولديهما فيليب وبرادلي وابنتهما جنيفر وكذلك تامي ابنة أخت كارمن التي كانت تعيش مع خالتها بسبب المشاكل العائلية المتكررة بين والديها. وكما في الفلم، تبدأ قصة عائلة سنيدكير بالبحث عن منزل للإيجار يكون قريبا من المستشفى التي يعالج فيها الأبن فيليب (ماثيو في الفلم) المصاب بمرض السرطان.

العائلة تعثر على ضالتها أخيرا في مدينة ساوثنكتون الواقعة في ولاية كونيتيكت الأمريكية حيث تؤجر مقابل مبلغ شهري ضئيل منزلا فخما وكبيرا يعود تاريخه إلى العصر الفيكتوري (القرن التاسع عشر).

وعلى عكس الفلم فأن الأم كارمن (سارا كامبل في الفلم) زعمت بأن المالك لم يخبرها قط عن ماضي المنزل، لكنها تكتشف ذلك بنفسها أثناء تنظيفها للقبو فتعثر خلف بعض مواد البناء وقطع الأثاث القديمة على غرفة صغيرة تحتوي على مجموعة من أدوات تغسيل وتحنيط جثث الموتى، كما تعثر أيضا على وثائق وفاة وسجلات جنائز قديمة إضافة إلى بعض الصور والأشياء المتعلقة بالموتى.

يتسلل الخوف إلى قلب السيدة كارمن حين تدرك أخيرا بأن المنزل الذي استأجرته كان في السابق دارا للجنائز وان الغرفة الصغيرة التي اكتشفتها في الأسفل كانت تستخدم لإنزال ورفع التوابيت بواسطة السلاسل من والى القبو، ليس هذا فحسب، فخلال بحثها ونبشها في ماضي المنزل تصاب كارمن بصدمة حقيقية حين تعلم بأن أمورا كريهة وملعونة جرت داخل القبو قبل عدة عقود حيث تم اتهام أحد العاملين في دار الجنائز آنذاك بانتهاك حرمة الموتى من خلال ممارسات جنسية شاذة ومقززة مع الجثث.

إماطة اللثام عن الماضي المخيف للمنزل رافقه حدوث بعض الأمور الشريرة والغامضة، فبسبب مرض فيليب وصغر الغرف في الطابق العلوي اضطرت العائلة إلى استخدام القبو الواسع كمكان لنوم ولديها فيليب وبرادلي، وفي ذلك القبو المظلم والبارد حيث كانت تحفظ الجثث في الماضي بدأ الولدان يسمعان أصوات غامضة ومجهولة وصارت الكوابيس المرعبة تقض مضجعهما إلى درجة أنهما أخذا يفران كل ليلة من سريريهما ليصعدا خلسة إلى الطابق الأرضي ويناما هناك.

الزوجان سنيدكير ظنا للوهلة الأولى بأن ما يراه الأولاد، خصوصا فيليب، سببه الحقيقي هو تأثير الأدوية القوية التي كان يتناولها للعلاج من مرضه، لكن الأحداث الغريبة لم تلبث أن داهمت جميع سكان المنزل.

في احد الأيام، بينما كانت كارمن تقوم بمسح أرضية مطبخها، فجأة تحول لون ماء الممسحة إلى الأحمر القاني حتى خيل للمرأة المرعوبة بأن

الممسحة أخذت تنضح دما، صاحب ذلك انتشار رائحة كريهة تزكم الأنوف كأنها رائحة جثث متعفنة.

صار أفراد العائلة يشاهدون برعب أشخاصا غرباء يتجولون داخل المنزل، أطياف غامضة أخذت تظهر وتختفي فجأة بوجوه كالحة مرعبة كأنها مخلوقات قادمة من عالم آخر. لم يعد الأمر بالنسبة لعائلة سنيدكير مجرد كوابيس وهلوسة مزعجة وإنما ازدادت قناعتهم تدريجيا بأن منزلهم مسكون بقوى غامضة وشريرة لها علاقة بماضي المنزل السيئ.

يوما بعد آخر أخذت الأمور تزداد سوءا وتخرج عن نطاق السيطرة، صارت الأرواح الشريرة أكثر عنفا وجرأة حتى أنها اعتدت جسديا على بعض أفراد العائلة. فالزوجان سنيدكير زعما لاحقا في كتاب صدر حول قصتهما بأن كليهما تعرضا عدة مرات للاعتداء الجنسي من قبل تلك المخلوقات الخارقة والمجهولة. الأمر نفسه حدث أيضا مع تامي ابنة أخت كارمن، ففي إحدى الليالي بينما كانت نائمة في غرفتها بالطابق العلوي أحست الفتاة المراهقة فجأة بيدين خفيتين تعبثان بجسدها وتتحسسانه كأن شخصا ما يحاول إثارتها جنسيا.

بمرور الأيام اخذ أفراد العائلة يشاهدون بوضوح طبيعة المخلوقات التي تشاركهم السكن في منزلهم، كارمن وصفت تلك الشخصيات الأثيرية المرعبة قائلة بأنهم : "كانوا أقوياء وخارقون إلى درجة لا تصدق" أما هيئاتهم وأشكالهم فقد كان : "احدهم نحيفا جدا، وجنتاه طويلتان، شعره اسود طويل وعيون سوداء قاتمة. الآخر كان شعره ابيض وعيناه بيضاء

أيضا، كان يرتدي بذلة مخططة وكانت قدماه في حركة مستمرة ودائبة. هناك واحد آخر كانت ابتسامته عريضة إلى درجة أن أطراف شفته كانت تلامس عيونه، وكان في غاية القصر أيضا".

في جوف الليل كان يتناهى إلى أسماع أفراد العائلة صوت صليل معدني قادم من غرفة التوابيت في القبو، صوت أشبه باحتكاك السلاسل الحديدية التي كان عمال دار الجنائز يستخدموها لرفع وإنزال التوابيت من وإلى القبو.

مصابيح المنزل الكهربائية كانت تتوهج فجأة من تلقاء نفسها وتبقى مضاءة حتى لو قطعوا التيار الكهربائي عنها!.

الروائح الكريهة كانت تنتشر من حين لآخر في جميع أرجاء المنزل .. روائح جثث ولحم متفسخ.

لم تقتصر أحداث المنزل على الجن ولا على الأصوات الغامضة والروائح الكريهة. لكن مما زاد الطين بله وأثار مخاوف حقيقية لدى عائلة سنيدكير هو ملاحظتهم لظهور تحولات وتغيرات غير طبيعية طرأت فجأة على شخصية ابنهم المريض فيليب، أصبح الفتى سريع الغضب وعنيفا لا يمكن التنبؤ بتصرفاته، كما تحول فجأة إلى شاعر مفوه يكتب قصائد في غاية البلاغة والشاعرية لكنها تتسم أيضا بسوداوية مفرطة وتكاد مواضيعها لا تتجاوز مسألة الموت والقبر، إحدى قصائده الغريبة كانت تتغزل بجثث الموتى وتتحدث عن ممارسة الجنس معها!.

أخيرا وبعد تزايد مخاوف الزوجين سنيدكير على سلامة أبنائهم، اضطروا إلى طلب المساعدة من خبيرين روحانيين هما الزوجين أد و لورين وارن اللذان اشتهرا سابقا في دورهما في حل قضية شهيرة شغلت الرأي العام في الولايات المتحدة لفترة وجرت وقائعها في منزل امتيفيل في نيويورك الذي شهد حدوث جريمة مروعة في سبعينات القرن المنصرم وزعم العديد من مالكوه لاحقا بأنه مسكون بالجن والعفاريت.

الزوجان وارن مكثا قرابة التسعة أسابيع في منزل عائلة سنيدكير من اجل التأكد من حقيقية وطبيعة الأحداث الغريبة التي تجري داخله. لكن الزوجان لم يحتاجا لفترة طويلة من المراقبة ليتأكدا بأن شيئا ما غير طبيعي يجري داخل المنزل، فمنذ اليوم الأول لوصولهم شعرا وكذلك جميع أفراد فريق العمل المصاحب لهم بشعور غير مريح يطغي على نفوسهم، كان هناك شيء خفي شرير أحس بوجوده الجميع ما أن خطت أقدامهم إلى داخل المنزل.

أحد مساعدي الزوجين ويدعى جون وصف الأحداث الغريبة التي شاهدها بنفسه قائلا : "في إحدى الليالي كنت جالسا على الطاولة في غرفة الطعام أراجع بعض ملاحظاتي التي كنت قد كتبتها سابقا، وفجأة أصبح هواء الغرفة باردا وأحسست بوجود شخص آخر معي في الغرفة لكني لم استطع أن أراه. صرخت مناديا على الآخرين الذين كانوا نائمين في غرفة المعيشة، لكني لم استطع إيقاظهم رغم أني صرخت بأعلى صوتي كأنما كان هناك شيء يحول دون خروج صوتي من الغرفة. حين نظرت إلى السلم شاهدت ما يشبه الشبح بدء في الظهور والتشكل، في هذه الأثناء بدأ هواء

الغرفة يعبق بروائح كريهة إلى درجة أني بالكاد كنت استطيع التنفس، وفيما اخذ الشبح يتخذ شكلا وهيئة واضحة سمعت ضوضاء عظيمة تصدر من خلفه كأنها أصوات آلاف الأجنحة تخفق معا ... في حياتي كلها لم اشعر بالرعب كما شعرت في ذلك اليوم".

في النهاية وبعد أن تأكد الزوجان وارن من أن المنزل مسكون حقا أشارا على كارمن بطلب المساعدة من شخص متخصص في طرد الجن والأرواح الشريرة، وبالفعل قامت عائلة سنيدكير باستدعاء احد طاردي الأرواح الذي قام في إحدى ليالي عام ١٩٨٨ بأجراء الطقوس اللازمة لإجبار الجن على ترك المنزل، عملية الطرد لم تكن سهلة إذ زعم أفراد العائلة بأن الجن قاوموا الطقوس بشدة ورفضوا ترك المنزل بسهولة، لكن ما أن انتهى طارد الأرواح من عمله حتى شعر الجميع بنوع من الراحة والخفة كأنما كان هناك شيء ما ثقيل يرزح فوق صدورهم وتم إبعاده وإزاحته.

لم تشهد عائلة سنيدكير أي أحداث غريبة بعد جلسة الطرد وعاشوا في المنزل بسلام لعدة أشهر أخرى حتى تركوه نهائيا في عام ١٩٨٩، كما لم يشهد نزلاء المنزل اللاحقون أي أمور غير طبيعية وهو مما دفع بالعديد منهم إلى التشكيك في قصة ومزاعم عائلة سنيدكير.

فيليب سنيدكير شفي تماما من مرض السرطان وهو اليوم متزوج ولديه ثلاثة أطفال.

هل كان منزل عائلة سنيدكير مسكونا حقا؟

كما عودناك عزيزي القارئ في مقالاتنا السابقة فأننا لا نسلم بصدق القصص التي نكتب عنها في موقع مملكة الخوف من دون تمحيص وبحث.

بالنسبة لقصة منزل عائلة سنيدكير المسكون فهناك أناس صدقوا بأن العائلة تعرضت حقا لمواجهة مع قوى شريرة غير طبيعية حتى أن القصة أصبحت بمرور الوقت إحدى أشهر قصص البيوت المسكونة في أمريكا، تم تأليف كتاب حولها كما تم تجسيد أحداثها في السينما. في نفس الوقت كان هناك أيضا من شكك في القصة وكذبها جملة وتفصيلا، وقد كان لكل فريق من المصدقين والمشككين حججه ودلائله.

فريق المصدقين بالقصة يقولون بأن هناك العديد من الشهود الذين أكدوا صحة مزاعم أفراد عائلة سنيدكير، فهناك الزوجان وارن ومساعدهما جون وكذلك بعض أقارب العائلة ممن قضوا عدة أيام في ضيافتها كانوا شهودا خلالها على العديد من الأحداث غير الطبيعية. كما أن المنزل كان حقا دارا للجنائز لعدة عقود.

أضف إلى كل ذلك فما مصلحة عائلة تعاني ما تعانيه من اجل علاج ابنها مع مرض السرطان في اختراع هكذا قصة؟.

أما فريق المكذبين فيقول بأن منزل عائلة سنيدكير في كونتيكيت لم يشهد أي أحداث غريبة لا قبل ولا بعد سكن العائلة فيه وهو أمر يثير الاستغراب والكثير من علامات الاستفهام، فجميع من سكنوا في المنزل بعد

العائلة قالوا بأنهم لم يلاحظوا أو يشاهدوا حدوث أي أمر غير طبيعي داخله.

عائلة سنيدكير ترد على هذا التشكيك بالقول بأن سبب عدم ظهور الجن بعد مغادرتها المنزل يعود في الحقيقية إلى جلسة طرد الأرواح التي أجراها روحاني مختص عام ١٩٨٩.

كما ان فريق المكذبين وعلى الرغم من انه يقر بأن المنزل كان دارا للجنائز يوما ما لكنه يشكك بقوة في مزاعم السيدة كارمن سنيدكير حول قيام احد عمال دار الجنائز بممارسة الجنس مع الجثث إذ لم يتم العثور أبدا على أي دليل يؤكد حدوث هذا الأمر.

راي غارتون مؤلف كتاب "**In a Dark Place**" والذي تناول قصة المنزل المسكون وكان سببا رئيسيا في شهرته قال بأن ما اخبره به أفراد عائلة سنيدكير حول الأحداث التي عايشوها داخل المنزل كان في غالبه متناقضا وانه اضطر لإضافة بعض التفاصيل من عنده من اجل التغطية على هذا النقص في القصة، كما إن العائلة لم تسمح له أبدا بمقابلة الفتى فيليب سنيدكير رغم انه كان الشخصية المحورية للقصة بمجملها وان المرة الوحيدة التي تحدث فيها معه كانت عن طريق الهاتف وحين بدأ الفتى يخبره بأنه لم يشاهد حقا أمورا غريبة في ذلك المنزل استلت والدته السماعة منه وأنهت المكالمة على الفور.

أما الحجة الأقوى لدى فريق المشككين فهي تتساءل ببساطة عن سبب بقاء عائلة سنيدكير لمدة سنتين ونصف في منزل تعرضوا داخله إلى

صنوف الأذى النفسي والجسدي والاغتصاب!! الم يكن الأجدر بالعائلة ترك المنزل فور اكتشافهم لماضيه السيئ أو على الأقل عندما بدأت الأحداث الغريبة والمرعبة تقع داخله خلال فترة إقامتهم الاولى.

عائلة سنيدكير ترد على هذا التشكيك قائلة بأن ظروفهما المالية الصعبة آنذاك هي التي أجبرتها على تحمل ذلك الجحيم الذي عاشوه في المنزل لسنتين.

على العموم، وكالعادة، تبقى مسألة تصديق أو تكذيب هذه القصة متروكة لك وحدك عزيزي القارئ.

ملاحظة : ما ذكرته في القصة حول أن المنزل مسكون بالجن وليس الأشباح هو بسبب أن عائلة سنيدكير وجميع من تناولوا أحداث المنزل المسكون وصفوا طبيعة القوى التي واجهوها بكلمة (Demon) وهي تعني شياطين وعفاريت أو ما نطلق عليه نحن في العالم العربي والإسلامي اسم الجن، وهذه الكلمة ذات جذر إغريقي عرفتها جميع الحضارات والأديان بأسماء مختلفة حتى قبل ظهور الأديان الإبراهيمية وتشير بالتحديد إلى قوى روحانية غير مرئية حاقدة وشريرة وهي بذلك تختلف كليا عن الأشباح (Ghost) التي تشير عادة إلى أرواح الموتى.

لغز الإعدام

شنقوه ثلاث مرات ولم يمت!

في خمسينات القرن المنصرم قال طبيب العائلة لوالدي بأن جدتي المريضة لن تعيش لأكثر من ثلاثة أيام لكنها رحمها الله عاشت خمسة وعشرين عاما أخرى في حين مات طبيبها قبلها بسنوات! مفارقة طريفة تدفعني أحيانا للتساؤل عن السر والحكمة الكامنة وراء العديد من مفارقات الحياة. مثلا لماذا يختلف الناس من حيث الوسامة والصحة والفقر والغنى .. الخ؟ وحتى في الموت يختلفون فترى آجالهم متباينة، صحيح إن الجميع يموتون في النهاية، لكن هناك من يغادر الدنيا في عز قوته وعنفوان شبابه بينما هناك من يعيش حتى يتقوس ظهره ويرى أحفاد أحفاده، وهناك أيضا من يموت أثناء نومه في فراشه الدافئ الوثير بدون علة واضحة في حين يتم شنق بطل قصتنا ثلاث مرات من دون أن يموت .. أليست هذه مفارقة عجيبة!!.

"يعلم الله إني بريء" قالها جون لي (John Lee) بهدوء وبرود حسده عليه جميع الحاضرين في المحكمة بينما كان يخاطب القاضي الذي اصدر عليه للتو حكما بالإعدام شنقا. جريمته الغامضة وملابسات إعدامه المثيرة جعلت من قصته حديث الصحافة في انجلترا في نهاية القرن التاسع عشر، فمن هو جون لي يا ترى وما هي قصته العجيبة؟

ولد عام ١٨٦٤ في إحدى البلدات الصغيرة الواقعة إلى الجنوب من مدينة ديفون الانجليزية.

في مراهقته تمكن جون بمساعدة أخته إليزابيث من الحصول على عمل كخادم في منزل فخم كبير يقع على شاطئ خليج باباكومب. إليزابيث كانت أختا غير شقيقة لجون من أمه وكانت تعمل كخادمة لدى مالكة المنزل الآنسة ايما كيز منذ فترة طويلة لذلك لم تمانع هذه الأخيرة في تعيين أخوها جون حين قدمته لها. الآنسة كيز كانت امرأة طيبة من علية القوم في نهاية عقدها السادس من العمر وتعيش لوحدها.

عمل جون كان يتضمن العناية بالحديقة والإسطبلات. وإضافة إليه والى أخته إليزابيث كان هناك خادمتان أخريان في المنزل هما جان واليزانيك.

في سن السادسة عشر ترك جون العمل لدى الآنسة كيز والتحق بالأسطول الملكي، لكن أيامه في البحرية لم تدم طويلا إذ سرعان ما تم الاستغناء عنه بسبب عدم انضباطه.

عاد جون أدراجه إلى ديفون وعمل لعدة سنوات كخادم في عدد من فنادق المدينة لكنه كان يتعرض للطرد دائما بسبب يده الطويلة حتى انه أمضى عقوبة قصيرة في السجن بعد أن امسكوا به متلبسا بالسرقة.

بعد أن تقطعت به السبل وفشل في جميع الوظائف التي عمل فيها عاد جون للعمل لدى الآنسة كيز في صيف عام ١٨٨٤ بعد أن توسطت له أخته إليزابيث. هذه المرة كخادم وساقي. ومرة أخرى لم يستطع جون كبح

جماح يده الطويلة فقام بسرقة بعض الحاجيات من منزل الآنسة كيز التي اكتشفت الأمر فعاقبته بقطع راتبه.

بعد منتصف ليلة ١٥ نوفمبر عام ١٨٨٤ تعرضت الآنسة كيز فجأة لهجوم شرس أثناء نزولها السلم من غرفة المطالعة إلى الطابق الأرضي، شخص ما ضربها على رأسها بواسطة قضيب معدني يستعمل لتقليب الرماد في الموقد، وهي وظيفة كان مناطة بجون، ثم أجهز القاتل على العجوز الطيبة بذبحها بواسطة سكين كبيرة كانت تستخدم لتهذيب الأغصان في حديقتها، وأخيرا رش الطابق الأرضي بالكيروسين وأشعل النار قبل أن يفر هاربا.

الحريق في الطابق الأرض أدى إلى استيقاظ الخادمات، في هذه الأثناء هرول جون لي مسرعا نحو المنازل القريبة لطلب النجدة، العجيب هو أن جون اخبر الجيران عن موت السيدة كيز مع انه لم يكن قد رأى جثتها بعد!، ثم عاد مسرعا إلى المنزل الذي كانت النيران تضطرم داخله وقام بإنقاذ الخادمة جان التي كانت محاصرة في غرفتها بالطابق العلوي. أثناء إنقاذها انتبهت الخادمة إلى وجود جرح نازف على يد جون الذي زعم لاحقا أنه جرح يده أثناء كسره لزجاج نافذة الخادمة بينما كان يهم بإخراجها من الغرفة، لكن الشرطة توصلت فيما بعد إلى أن النافذة كسرت من الخارج وليس من الداخل، كما نفت الخادمة مشاهدتها لجون لي وهو يكسر زجاج نافذتها. إضافة إلى ذلك عثرت الشرطة على قنينة كيروسين فارغة عليها آثار دماء في غرفة جون الخاصة داخل المنزل.

تصرفات جون المشبوهة ليلة مقتل الآنسة كيز والجرح الغامض على يده وكذلك شهادة بعض معارفه بأنهم سمعوه يهدد بقتل الآنسة كيز بسبب قطعها لراتبه، كل ذلك أدى إلى اتهامه بالقتل وتقديمه لمحاكمة سريعة لم تستغرق سوى أسبوعين اصدر القاضي في نهايتها حكما بإعدامه شنقا.

في صباح يوم ٢٣ فبراير عام ١٨٨٥ تم تقديم آخر وجبة طعام لجون في زنزانته ووقف السجانون متعجبون وهم يشاهدون جون يلتهم فطوره بشهية كبيرة وهو الذي ينتظر إعدامه بعد دقائق معدودة!. لم يكن جون خائفا أو مضطربا ذلك الصباح، مضى مع السجانين إلى غرفة الإعدام كأنه ذاهب إلى نزهة، لم يقاوم أو يصرخ كما يفعل الآخرون ولم يضطروا إلى سحله أو حمله قسرا إلى غرفة الإعدام، لم يفقد جون هدوءه وتماسكه حتى بعد أن لفوا حبل المشنقة حول عنقه.

المشنقة كانت من النوع الذي يقف فيها المحكوم على بوابة معدنية ترتبط بطريقة آلية بقبضة خشبية طويلة يسحبها الجلاد فينفتح الباب نحو الأسفل ويهوي المحكوم عليه إلى غرفة تحت المنصة، في اغلب الأحيان كان المحكوم عليه يموت في الحال حين يصل حبل المشنقة إلى مداه فتلتف الانشوطة بقوة حول عنقه وتكسرها، أما سيء الحظ فقد لا تنكسر عنقه حين يهوي من المنصة فيظل يتخبط ويتلوى لعدة دقائق حتى يختنق تماما وتغادر الروح جسده.

جون وقف فوق منصة المشنقة وبدا متماسكا وهادئا كأن الأمر لا يعنيه!. في تمام الساعة الثامنة صباحا قام الجلاد بسحب القبضة الخشبية

التي تؤدي لفتح الباب السفلي لكن لشدة دهشة الرجل فأن جون ظل واقفا مكانه ولم يهوي نحو الأسفل!.

قام الجلاد بأبعاد جون عن المشنقة ثم استدعى ميكانيكي السجن لمعرفة الخلل في الآلة. الميكانيكي كان متأكدا من سلامة الآلة لأنه قام بفحصها عدة مرات في اليوم السابق، ومع هذا قام بفحصها وتجربتها مجددا أمام الجميع وما أن سحب القبضة الخشبية حتى انفتح الباب السفلي على الفور، كرر الميكانيكي العملية عدة مرات حتى اطمئن الجلاد إلى أن الآلة تعمل بصورة جيدة فقام بإيقاف جون مجددا فوق الباب السفلي ولف حبل المشنقة حول عنقه، ومرة أخرى قام الجلاد بسحب القبضة الخشبية لكن جون ظل واقفا مكانه هذه المرة أيضا ولم يتزحزح قيد أنملة!. هذه المرة قام السجانون بإعادة جون إلى زنزانته ريثما يقوم ميكانيكي السجن بفحص المشنقة بصورة دقيقة لمعرفة مكامن الخلل فيها، هذه العملية استمرت لقرابة الساعة حتى تأكد الرجل بأن الآلة تعمل بصورة طبيعية وقاما بتجربتها عدة مرات.

في الساعة التاسعة والنصف صباحا اصطحب السجانون جون من زنزانته إلى غرفة الإعدام للمرة الثانية، وتارة أخرى قام الجلاد بإيقاف جون فوق الباب السفلي ثم لف الحبل حول عنقه. هذه المرة تمهل الجلاد لبرهة قبل سحب القبضة الخشبية كأنه كان يخشى أن تفشل عملية الإعدام مجددا وهو ما حصل بالضبط عندما سحب الرجل القبضة إذ بقى جون واقفا مكانه بهدوء من دون أن يهوي إلى الأسفل!!.

جميع من شاهدوا ما حدث ذلك اليوم أحسوا برعشة خفيفة تسري في أجسادهم، الجلاد ضرب جبهته بيده وكاد أن يفقد صوابه فيما تراجع السجانون إلى الوراء وهم ينظرون إلى وجوه بعضهم غير مصدقين ما يحدث.

الضابط المكلف بمراقبة تنفيذ الإعدام رفض أن يقف جون على المشنقة مرة أخرى وأمر السجانين بإعادته إلى زنزانته ريثما يقوم بإخبار مدير السجن أولا بتفاصيل ما حدث في ذلك الصباح العجيب.

مدير السجن حضر بنفسه إلى غرفة الإعدام واستمع إلى شهادة الجلاد والسجانين حول ما حدث ثم قام بنفسه بسحب القبضة الخشبية فأنفتح الباب السفلي للمشنقة على الفور. مدير السجن أمر بإيقاف الإعدام مؤقتا ريثما يكتب إلى مراجعه العليا في لندن شارحا لهم ما جرى بالتفصيل ومنتظرا تعليماتهم.

وخلال أيام قليلة وصل الرد من لندن بإلغاء حكم الإعدام الصادر بحق جون لي وتخفيفه إلى عقوبة السجن المؤبد.

منذ ذلك اليوم أصبح جون لي مشهورا في انجلترا بأسم "الرجل الذي لم يستطيعوا شنقه".

جون لي أمضى عشرون عاما في سجن بورتلاند قبل أن يطلق سراحه في عام ١٩٠٧. حين خرج من السجن كانت قصته مع المشنقة قد طواها النسيان ولم تعد الصحافة تهتم لأمره كثيرا لذلك فالمعلومات حول ماذا جرى له بعد إطلاق سراحه متضاربة، لكن يبدو أن الرجل تزوج

وعاش عمرا مديدا حتى عام ١٩٤٥ حيث مات ودفن في قبر أصبح هو بحد ذاته لغزا إذ أن شاهد القبر يحتوي على تاريخ الولادة لكن تاريخ الوفاة ظل فارغا.

قصة جون لي لم تنتهي بموته، لسنوات طويلة ثارت العديد من الأسئلة حول ما إذا كان هو قاتل الآنسة كيز الحقيقي؟ أو على الأقل كان يعلم من هو قاتلها؟.

جون نفسه خلال محاكمته وسجنه وتنفيذ إعدامه وحتى أخر يوم في حياته كان يصر على براءته لكنه لم يفصح أبدا عن سر تصرفاته الغريبة في ليلة وقوع الجريمة. هناك من يعتقد أن جون هو القاتل فيما يرى فريق أخر ممن درسوا شخصيته وسيرته بأنه لم يقتل الآنسة كيز لكنه يعلم من هو القاتل، أصحاب الرأي الأخير زعموا أن القاتل الحقيقي كان شخصا يدعى ريجنالد تيمبلر كانت تربطه بإليزابيث أخت جون غير الشقيقة علاقة غير شرعية، ويبدو أن الآنسة كيز اكتشفت بطريقة ما هذه العلاقة الآثمة التي كانت تجري سرا داخل منزلها وهددت بفضحها لذلك قام السيد تيمبلر بقتلها بمساعدة إليزابيث و ربما جون أيضا.

تيمبلر مات بعد عامين فقط على موت الآنسة كيز بسبب إصابته بمرض الزهري وقد قال معارفه عنه انه فقد صوابه في أعوامه الأخيرة، أما إليزابيث فقد أنجبت بعد عدة أشهر من الحادثة طفل سفاح لم تفصح أبدا من هو والده الحقيقي.

في النهاية قد لا يعلم سوى الله من قتل الآنسة كيز، لكنك عزيزي القارئ ستتساءل حتما بفضول عن حقيقة ما جرى مع جون لي في غرفة الإعدام. البعض يعتقد بأن الذي أنقذ جون من الموت كان على الأرجح خللا أصاب عمل المشنقة، وان هذا الخلل كان يتكرر في كل مرة يقف فيها المحكوم على الباب السفلي للمشنقة، أي أن الخلل يحدث فقط عندما يكون هناك ثقل فوق الباب وحين يتنحى هذا الثقل فأن المشنقة كانت تعمل بشكل طبيعي.

وهناك طبعا رأي أخر يعتقد أن نجاة جون من الموت كانت بفضل معجزة إلهية؟ فهدوء جون وسكينته في يوم إعدامه كانت تثير الدهشة كأنه كان على ثقة من نجاته.

طبعا نحن متأكدين من قدرة الله على اجتراح المعجزات لكننا قد نتساءل عن سبب عدم تدخل العناية الإلهية في إنقاذ ملايين الأشخاص الأبرياء الذين اعدموا وقتلوا على طول التاريخ في حين تشمل بعطفها شاب متهور اشتهر بالسرقة!!.

على العموم يقولون إن لله طرقا عجيبة وغريبة في إظهار حكمته ورحمته وقد تكون حادثة جون لي هي إحداها .. من يدري؟!.

لم يتحمله حبل المشنقة!

جوزيف صاموئيل (Joseph Samue) كان لصا انجليزيا تم نفيه إلى حيث كان الانجليز يرسلون مجرميهم لقرابة قرنين من الزمان، أي إلى

استراليا. هناك تمكن من الفرار من السجن وانضم إلى عصابة مسلحة ارتكبت العديد من الجرائم، إحدى تلك الجرائم كانت السطو على منزل سيدة وحيدة عام ١٨٠١، وقد حاول احد رجال الشرطة التدخل لإنقاذ السيدة من قبضة العصابة فأطلق احدهم النار عليه وارداه قتيلا في الحال. لاحقا قامت الشرطة بإلقاء القبض على جوزيف صاموئيل وحكم عليه بالإعدام على الرغم من إصراره على براءته من تهمة قتل الشرطي.

في يوم تنفيذ الحكم تم إحضار جوزيف صاموئيل مع عدد أخر من السجناء إلى ساحة عامة لينفذ فيهم الإعدام أمام الجمهور. في ذلك الزمان كان الإعدام يتم عن طريق إيقاف المحكوم على عربة ثم يلفون حبل المشنقة حول عنقه ويسحبون العربة من تحت إقدامه فيتدلى المحكوم من المشنقة ويظل يتلوى لدقائق حتى يفارق الحياة.

الجلاد قام بلف حبل المشنقة حول عنق جوزيف صاموئيل والمحكومين الآخرين ثم سحبت العربات من تحت أقدامهم فتدلوا يتخبطون ويتلوون، لكن جوزيف صاموئيل كان الوحيد الذي سقط أرضا بسبب انقطاع حبله وهو أمر أثار دهشة الجميع لأنه لم يحدث من قبل فحبل المشنقة كان متينا بإمكانه رفع طن من الوزن. الجلاد كرر العملية مرتين، وفي كل مرة كان حبل صاموئيل ينقطع ما أن تسحب العربة من تحت أقدامه. وبعد فشل المحاولة الثالثة أخذت الجماهير تصرخ مطالبة بالعفو عن صاموئيل مما حدا بالحاكم إلى إطلاق سراحه على الفور باعتبار أن نجاته من الموت ثلاث مرات هي إشارة ربانية على براءته من جريمة القتل.

الناجي الوحيد من الكرسي الكهربائي

ويلي فرانسيس (Willie Francis) شاب اسود فقير اتهم عام ١٩٤٥ بقتل الصيدلاني الذي كان يعمل عنده. جريمة ويلي شابتها الكثير من الشكوك وعلى الأرجح كان الشاب بريء منها تماما، لكن ربما تكون بشرته السوداء هي التي أدت إلى إدانته في النهاية والحكم عليه بالإعدام بواسطة الكرسي الكهربائي بعد محاكمة قصيرة لم تستغرق سوى يومان.

في ٣ مايو عام ١٩٤٦ خطى ويلي فرانسس بأقدام مرتجفة إلى داخل غرفة الإعدام في سجن ولاية لويزيانا الأمريكية، اجلسوا الشاب على الكرسي الكهربائي ثم ربطوا معصميه وقدميه وغطوا رأسه بقناع جلدي. الشهود الذين حضروا عملية الإعدام توقعوا للشاب موتا مؤلما وسريعا، لكن لشدة دهشتهم فأن ويلي لم يمت حتى بعد مرور عدة دقائق من توصيل الكهرباء إلى كرسي الموت. شهود العيان قالوا إن ويلي اخذ يتوسل ويصرخ قائلا: "اخلعوه عني ..اخلعوه عني .. دعوني أتنفس" قاصدا الغطاء الجلدي الذي يغطي وجهه ثم أردف قائلا بصوت متهدج "أنا لا أموت! .. أنا لا أموت!".

اضطر الحراس أخيرًا إلى إيقاف عملية الإعدام ونقلوا ويلي إلى المستشفى. وفي الحقيقة كانت هذه هي المرة الأولى –والأخيرة– التي يخفق فيها الكرسي الكهربائي في قتل شخص ما، وقد تبين لاحقا أن سبب عدم موت ويلي هو وصلات الأسلاك الخاطئة التي قام بربطها احد الحراس الجدد الذي كان يفتقر إلى الخبرة.

لكن رغم نجاته من الموت وتقدمه بالتماس للحصول على العفو، إلا أن حكومة لويزيانا أصرت على تنفيذ حكم الإعدام بويلي مرة أخرى في ٩ أيار / مايو عام ١٩٤٧ .. وهذه المرة لم يستطع ويلي الإفلات من الموت على الكرسي الكهربائي.

لم يعثروا على وريده!

روميل بروم (Romell Broom) مجرم أمريكي متهم بالعديد من قضايا الاختطاف والاغتصاب لمراهقين من الجنسين. تمت محاكمته عام ١٩٨٤ بتهمة اغتصاب وقتل مراهقة في الرابعة عشر من العمر تدعى ترينا ميدليتون كان روميل قد اختطفها أثناء عودتها إلى منزلها من ملعب الكرة. وبعد محاكمات ماراثونية استغرقت سنوات طويلة تم الحكم على رومل بالإعدام بواسطة الحقن بالمواد كيميائية.

في ١٥ سبتمبر عام ٢٠٠٩ دخل روميل بروم إلى غرفة الإعدام في سجن ولاية أوهايو الأمريكية، ولأول مرة في تاريخ الإعدام بواسطة الحقن فشل طاقم الإعدام في العثور على وريد مناسب في جسد المحكوم لحقنه بالعقاقير المميتة.

محامي روميل قال للصحفيين لاحقا :"إن فريق الإعدام حاول ولعدة ساعات، العثور على أي وريد في جسم موكله لحقنه بالجرعة القاتلة دون طائل. وأضاف: "من الواضح أن الجهود قائمة منذ حوالي الساعتين، وأن فريق الإعدام يأخذ الآن قسطاً من الراحة".

في النهاية لم يستطع طاقم الإعدام العثور على وريد في جسد روميل وتم تأجيل إعدامه وقد لا ينفذ الحكم فيه أبدا.

لغز ضريح موسولوس
عجائب الدنيا السبع القديمة

على طول وعرض العالم تنتشر آلاف الأضرحة لأنبياء وملوك وشعراء ورجال دين ومشاهير، تميزت بعضها بجمال عمارتها ولطيف صنعتها حتى أنها تخطف الأبصار لروعة زخارفها وتماثيلها ويحار الإنسان في أسرار بنائها. ولأن القدماء لاحظوا منذ زمن بعيد مدى تعلق الناس بالأضرحة الفخمة والتخليد والتعظيم الذي يناله المدفونين فيها، لذلك بالغ بعضهم في الإسراف على قبره أكثر مما أنفق على حياته ومتعه الدنيوية، والضريح الذي شيدته إحدى الملكات ليضم رفات زوجها ورفاتها هو خير مثال على ذلك البذخ. ضريح عده القدماء من عجائب الدنيا الخالدة رغم زوال بنيانه واندثار آثاره منذ قرون طويلة.

كانت حدود الإمبراطورية الفارسية الاخمينية في أوج عظمتها تمتد من مصر والأناضول غربا وحتى حدود الهند شرقا وكان الشاه الفارسي يدير هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف عن طريق مجموعة من الملوك المحليين الذين كان يطلق عليهم لقب ساتراب (Satrap) كانوا يحكمون ولاياتهم وأقاليمهم بأسم الشاه فيجمعون له الضرائب ويدافعون عن حدود إمبراطوريته ويحشدون الجيوش للمشاركة في الحملات العسكرية التي يشنها على الأمم الأخرى، وفي المقابل كان هؤلاء الملوك يحصلون على قدر لا بأس به من الاستقلالية في إدارة الأقاليم الخاضعة لهم، وبسبب العدد الكبير لهؤلاء الملوك والحكام المحليين أطلق القدماء على الشاه الفارسي

لقب ملك الملوك. وبالطبع لم يكن الشاه يترك الحبل على الغارب ليفعل ملوك الولايات ما يشاءون بدون علمه، فقادة الجيش في جميع أنحاء الإمبراطورية كانوا يعينون من قبله ولا يأخذون الأوامر إلا منه، كما كان له عيون وجواسيس من الموظفين الكبار في بلاط الملك المحلي يرفعون إليه تقاريرهم مباشرة فيخبرونه فيها عن كل شاردة وواردة وعن كل أمر وفعل قام به الساتراب. ورغم أن هذا النظام الإداري لم يكن أمنا على الدوام لأن الملوك المحليين كانوا كثيرا ما يتمردون ويعلنون استقلالهم خاصة في أوقات ضعف الإمبراطورية، إلا إن جميع الدول منذ القدم وحتى يومنا هذا أخذت بهذا النظام وما وظيفة الولاة والحكام والمحافظين اليوم إلا تجسيد لفكرة الساتراب القديمة.

كان حكام مملكة كاريا من الملوك التابعين للشاه الفارسي، كانت مملكتهم الصغيرة تقع إلى الجنوب الغربي من الأناضول –تركيا الحالية– وتتمتع بقدر كبير من الاستقلالية رغم خضوعها للشاه. في عام ٣٧٧ ق م توج موسولوس ملكا على عرش كاريا خلفا لوالده الملك هيكاتومنيوس، كان الملك الجديد متزوجا طبقا للتقاليد من أخته أرتميزيا وقد حكم الاثنان معا لمدة تناهز الأربعة والعشرين عاما شهدت مملكتهما خلالها ازدهارا كبيرا فتوسعت حدودها لتضم عددا من المدن والأراضي المجاورة. وعلى الرغم من ان حكام كاريا كانوا تابعين للفرس الذين كانوا بدورهم يناصبون الإغريق العداء، إلا إن الثنائي الملكي كانا في غاية الإعجاب والشغف بالثقافة والفنون الإغريقية التي كانت قد بلغت أوج عظمتها وازدهارها آنذاك، وقد انفق موسولوس وزوجته أموالا طائلة في تشييد الأبنية الفاخرة

والصروح العظيمة ذات الطراز الإغريقي في عاصمتهم هاليكارناسوس مستعينين بخبرات أشهر وامهر المهندسين والمعماريين الإغريق الذين تم جلبهم من بلاد اليونان إلى مملكة كاريا.

في عام ٣٥٣ ق م مات الملك موسولوس وأحرقت جثته طبقا للتقاليد وقد خلفه على العرش زوجته الملكة أرتميزيا التي كان حزنها وجزعها لموت زوجها كبيرا لدرجة أنها لم تعد تغادر قصرها ألا لماما ويقال أنها لشدة تعلقها بزوجها الراحل كانت تشرب كل صباح كأسا من الخمر ممزوجة بالقليل من رماد جثته لاعتقادها بأن هذه الطريقة ستؤدي لإتحاد جسده مع جسدها.

مملكة كاريا واجهت بعض التحديات بعد فترة قصيرة من موت ملكها موسولوس، فالملك الراحل كان قد قهر جزيرة رودوس الواقعة في بحر ايجة، والآن بعد أن سمع الرودوسيون خبر موته قرروا الانتقام لهزيمتهم السابقة فأرسلوا سفنهم الحربية نحو مملكة كاريا لاحتلالها وتدمير عاصمتها هاليكارناسوس. لكن حين تناهى خبر الحملة إلى الملكة ارتميزيا عمدت إلى حيلة ذكية فقامت بإخفاء سفنها الحربية عند الجهة الشرقية للمدينة وتركت السفن الرودوسية تدخل الميناء من دون أية مقاومة، وقد ظن الرودوسيون بأن الملكة الحزينة فرت مع جيشها لعدم قدرتها على مواجهتهم، لكن ظنونهم سرعان ما خابت حين باغتهم أسطول كاريا المختبئ على حين غرة وأحاط بهم من كل جهة فاضطروا للاستسلام من دون قتال كبير. الملكة ارتميزيا لم تكتف بالاستيلاء على سفن العدو بل قررت تلقين رودوس درسا لن تنساه فألبست جيشها ملابس الجنود الأسرى

وأرسلته نحو جزيرة رودوس على متن السفن الأسيرة التي اعتقد سكان رودوس بأنها عادت إليهم مكللة بالنصر فلم يحتاطوا لقتال جيش كاريا المتنكر الذي أخذهم على حين غرة واسقط جزيرتهم بسهولة.

لتخليد ذكرى زوجها الراحل قررت الملكة ارتميزيا بناء ضريح فاخر ليكون مثواه الأخير ولتدفن هي ايضا فيه بعد موتها، ولهذه الغاية بذلت أموالا طائلة في جلب امهر النحاتين والفنانين الإغريق ليشيدوا لها تحفة معمارية يبقى ذكرها خالدا على مر العصور.

تم بناء الضريح على إحدى التلال المشرفة على العاصمة هاليكارناسوس، الجزء السفلي من البناء كان عبارة عن منصة عالية استعملت الحجارة في بنائها وطرزت جوانبها الخارجية بلوحات جميلة تمثل صور الآلهة، وعند كل ركن من الأركان الأربعة للمنصة تم نحت تمثال يصور حراسا محاربين. المنصة مثلت ثلثي ارتفاع الضريح البالغ ٤٥ مترا وكان يرتفع منها باتجاه القبر سلم حجري تحفه اسود رخامية أبدع النحاتون في صنعها.

أعلى المنصة تقع غرفة رخامية مربعة هي القبر الذي يضم الرفات الملكية، ويحيط بهذه الغرفة ستة وثلاثون عمودا رخاميا موزعة على الجوانب الأربعة بالتساوي، وقد افرغ النحاتون والرسامون القدماء خلاصة فنهم في هذا الجزء من البناء فزينوا جدرانه الخارجية بلوحات بارعة الجمال لمخلوقات خرافية مثل القنطور والمينوتور والحوريات وكذلك

لوحات تصور بعض حروب الإغريق الأسطورية مع جيش المحاربات الأمازونيات.

الجزء الأخير من الضريح كان عبارة عن سقف حجري ضخم يتخذ شكلا هرميا وينتصب على قمته تمثال رخامي لأربعة خيول تجر عربة يقودها الملك موسولوس وزوجته ارتميزيا.

في عام ٣٥١ ق م ماتت الملكة ارتميزيا، أي بعد سنتين فقط على موت زوجها، ومع ان الضريح لم يكن مكتملا عند موتها إلا أن رماد جثتها و جثة زوجها الراحل تم وضعهما داخل القبر الرخامي في مراسيم مهيبة ذبحت خلالها مئات الحيوانات كقرابين للآلهة. ويقال إن النحاتين والمعماريين استمروا في بناء الضريح حتى بعد موت الملكة ارتميزيا لأنهم اعتبروه تخليدا لهم ولمهارتهم وفنهم الراقي.

إن عظمة وروعة ضريح موسولوس تكمن في المنحوتات الرائعة التي طرزت جوانبه، ويقال أن هذه التماثيل والمجسمات البديعة التي صورت البشر والآلهة والحوريات والمخلوقات الخرافية تم نحتها بواسطة أزاميل أربعة من أشهر وأعظم نحاتي الإغريق في ذلك الزمان وقد قام كل منهم بنحت وزخرفة جانب واحد فقط من جوانب الضريح الأربعة فكانت نتيجة عملهم الراقي تحفة فنية استحقت أن تكون إحدى عجائب الدنيا القديمة.

ضريح موسولوس ظل منتصبا في مكانه لمدة ستة عشر قرنا، لم يهزه سقوط مملكة كاريا بيد الاسكندر الكبير عام ٣٣٤ ق م ولا هجمات

القراصنة عام ٦٢ ق م. لكن ما دمر البناء في النهاية كان الهزات الأرضية المتكررة التي ضربت المنطقة خلال القرون الوسطى والتي قوضت أحجار المبنى أخيرا في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد زاد من خراب الضريح استعمال أحجاره الضخمة في بناء قلعة وحصن ضخم لفرسان المعبد المسيحيين الذين استمروا في اقتلاع المزيد والمزيد من الأحجار مع كل هجمة يشنها الجيش العثماني عليهم حتى لم يتبقى من الضريح شيء.

فرسان المعبد اكتشفوا أثناء اقتلاعهم ونقلهم للأحجار غرفة سرية فيها توابيت ضخمة إلا أن محتوياتها تعرضت للسرقة لاحقا، ويعتقد المنقبين اليوم بأن تلك الغرفة كانت في الحقيقة غرفة القبر وأنها تعرضت لسرقة ونهب محتوياتها منذ زمن بعيد، ربما في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. ورغم أن فرسان المعبد كان لهم اليد الطولى في تدمير الضريح إلا أنهم ساهموا في نفس الوقت في الحفاظ على بعض اللوحات والمنحوتات لأنهم استخدموها في تزيين أجزاء من قلعتهم، وفي القرن التاسع عشر قام بعض المنقبين الانجليز باقتلاع وتهريب هذه اللوحات إلى بريطانيا حيث تعرض اليوم في المتحف البريطاني.

١- الزواج الملكي بين الأشقاء كان تقليدا تلتزم به العديد من السلالات الحاكمة في العالم القديم، ورغم إن هذا الأمر قد يبدو اليوم مثيرا للاشمئزاز في نظر البعض، إلا إن الغاية الحقيقية من هذا الزواج كانت تهدف إلى حماية ثروة العائلة وإبقاء التاج حكرا على أبناء السلالة الحاكمة. أضف إلى ذلك أن العلاقات الاجتماعية بين أفراد العائلات الملكية كانت تختلف بشكل كبير عن تلك الموجودة عند العائلات من عوام الناس،

فالأشقاء الملكيون كانوا بالكاد يعرف احدهم الأخر لأن اغلب الملوك القدماء كانت لديهم العديد من الزوجات والخليلات لذلك فأن الأمراء المولودون عن علاقات الملك الجنسية المتعددة كانوا في الغالب غير أشقاء تتم تربيتهم في كنف أمهات مختلفات ويكون لهم مربين ومعلمين مختلفين. كما إن التقاليد والأعراف عموما تختلف من مكان وزمان إلى أخر ومن ثقافة إلى أخرى، فمثلا الزواج من ابنة العم يعتبر أمرا مرغوبا بشدة لدى العرب (خصوصا في البيئات العشائرية والقبلية) لكنه يعتبر أمر مرفوض تماما (ممنوع قانونا في بعض المناطق) في أوربا وأمريكا حيث تعتبر ابنة العم من المحارم عرفا، طبعا ذلك لا يمنع وجود أوربيين متزوجين من بنات عمهم أو خالهم لكن الأمر بصورة عامة غير مقبول وغير مرحب به اجتماعيا.

لغز الشيطان

هل مر من هنا ؟

اعتاد الناس على رؤية آثار أقدام البشر والحيوانات مغروسة في الطين أو تتناثر هنا وهناك فوق الرمال والثلوج، وقد تخصص بعض أصحاب الفراسة في دارسة وتقفي هذه الخطوات حتى إن بإمكانهم إخبارك بالضبط لأي مخلوق تعود وأين مضى صاحبها. لكن الخطوات التي ظهرت في انجلترا في صباح احد الأيام قبل قرن ونصف من الزمان كانت تختلف عن جميع ما سبق للناس مشاهدته ووقف مقتفي الأثر أمامها حائرون .. خطوات عجيبة أثارت الرعب والهلع على طول البلدات والقرى التي مرت بها واعتقد السكان بأن مخلوقا واحدا فقط في الكون بإمكانه ترك هكذا آثار، وقد حاول المحققون تهدئة روع الناس عن طريق وضع فرضيات عقلانية لتفسير اللغز، لكن الخطوات الغامضة ظلت رغم ذلك سرا استعصي حله حتى يومنا هذا.

عند منتصف إحدى الليالي الباردة في شتاء عام ١٨٥٥ تساقط الثلج بهدوء فوق مدينة ديفون الانجليزية والقرى والبلدات المحيطة بها. كان الناس يغطون في نوم عميق داخل منازلهم وأكواخهم الدافئة فيما كانت الشوارع والطرقات في الخارج تكتسي بطبقة بيضاء ناعمة. طبعا لم يكن منظر الثلج شيئا عجيبا لسكان تلك الأصقاع فهم اعتادوا على رؤيته طوال الشتاء، لكن الذي أثار دهشتهم وخوفهم في الصباح هو رؤية آثار حوافر

غامضة تطرز صفحة ذلك الكساء الأبيض الصقيل الذي غطى ارض مدينتهم.

لكن ما العجيب والمدهش في ذلك؟ ربما تكون آثار حوافر خيول بعض المسافرين ، أو قد تكون آثار أقدام بعض الحيوانات المتسكعة في الشوارع أثناء الليل .. هكذا تسأل بسخرية بعض من سمعوا بقصة تلك الخطوات المجهولة، لكن سخريتهم سرعان ما انقلبت إلى دهشة حين علموا بأن آثار الحوافر الغامضة مضت عبر شوارع مدينة ديفون والأراضي المجاورة لها لمسافة ١٠٠ ميل تقريبا بمسار واحد مستقيم، ليس هذا فحسب، لكن تلك الخطوات العجيبة لم يكن يوقفها أي شيء، فحين كان احد المنازل يعترض طريقها فأن صاحب تلك الخطوات لم يكن يستدير حول المنزل وإنما كان ببساطة يمشي على الجدران والسقف عبورا إلى الجهة الأخرى؟!، أحيانا كانت تصادفه بعض الحدائق والمزارع المحاطة بسياج عالي يستحيل على أي مخلوق عبورها والدخول إليها، لكن الخطوات المجهولة كانت تجتازها بسهولة مما أثار تعجب السكان وجعلهم يؤمنون بأن صاحب تلك الخطى الغامضة لديه جناحان حتما أو وسيلة ما للطيران. الأدهى من ذلك كله هو أن الخطوات اختفت عند ضفاف نهر ايكسي البالغ عرضه ميلان لتظهر مرة أخرى في النقطة التي تقع بالضبط على الضفة المقابلة من النهر كأنما سار صاحب الخطوات على صفحة الماء!.

آثار الحوافر كانت بحد ذاتها غريبة لم يرى الناس لها مثيلا في السابق، كانت على شكل حرف (U) الانجليزي، بطول ٤ انشات وعرض

٢,٥ انش وتفصل بين كل خطوة وأخرى ٨ انشات. حتى أكثر الصيادين ومقتفي الأثر خبرة وحنكة لم يستطيعوا التعرف على نوع الحيوان الذي يمكن أن تعود له تلك الآثار.

سرعان ما أخذت الشائعات والقصص المخيفة تنتشر بسرعة البرق في ديفون، عدة أشخاص زعموا أنهم شاهدوا مخلوقا غريبا يتجول أثناء الليل عبر طرقات المدينة، و آمن الكثير من السكان بأن المخلوق صاحب الخطوات الغامضة لم يكن سوى الشيطان نفسه جاء متجولا في الليل باحثا عن الأرواح الخاطئة التي ازدادت باضطراد في تلك الأصقاع نتيجة لابتعاد الناس عن الله وانغماسهم في الخطيئة (-هذا في القرن التاسع عشر فماذا سيفعل الشيطان اليوم يا ترى؟!-).

في الأيام القليلة التالية عمت حالة من الهستيريا الجماعية في المناطق التي ظهرت فيها الخطوات الغامضة، بعض السكان شكلوا مجموعات مسلحة صغيرة راحت تقتفي اثر الخطوات المجهولة على أمل الإمساك بالمخلوق الذي يقف ورائها، فيما وقف آخرون يحرسون الطرقات والشوارع في الليل خشية أن يهاجمهم الشيطان على حين غرة. أما غالبية السكان فقد التزموا بيوتهم أثناء الليل ولم يغادروها لأي سبب كان.

الخوف والهلع التي سببته الخطوات الغامضة لم يقتصر على ديفون وما يجاورها بل امتد ليشمل اغلب مناطق انجلترا، خصوصا بعد نشر الصحافة لتقارير إخبارية مفصلة حول الموضوع في عدد من الجرائد الرصينة مثل التايمز والأخبار اللندنية.

في الحقيقة لا يعلم احد على وجه الدقة ما هو مصدر الخطوات الغامضة، لكن بمرور الأيام والسنين ظهرت العديد من الفرضيات والنظريات التي حاولت تفسير اللغز بشكل منطقي وعقلاني. أول الفرضيات ألقت باللوم على الحيوانات مثل الغرير وبعض أنواع القوارض. فيما زعمت إحدى الجرائد الصادرة في ذلك الزمان في تقرير نشرته آنذاك أن الخطوات الغامضة تعود في الحقيقة إلى زوج من حيوانات الكنغر التي فرت من مزرعة خاصة قرب ديفون لكن الجريدة لم تقدم ما يدعم صحة مزاعمها كما لم يثبت أبدا فرار أو مشاهدة أي كنغر في المنطقة. وتكمن المشكلة الرئيسية في فرضية الحيوانات في عدم تماثل آثار حوافر وطريقة حركة أي حيوان مع آثار تلك الإقدام التي خطت تلك الخطى المجهولة في ديفون. أضف إلى ذلك فأنه من غير المفهوم أن يسير حيوان ما بخط مستقيم زهاء مئة ميل خلال ليلة واحدة قافزا فوق الجدران العالية وسطوح المنازل التي تصادفه وتعترض سبيله خلال مسيره، هذا إلا إذا كان ذلك الحيوان يمتلك القدرة على الطيران كأن يكون طائرا، لكن هذا سيزيد تعقيد اللغز ولا يحله لأن من غير المنطقي أن يستمر طائر بالمشي على الأرض لمسافة ١٠٠ ميل.

هناك فرضية أخرى هي الأكثر قبولا رغم أنها ظهرت بعد عدة عقود من حادثة ديفون، وتزعم تلك الفرضية ان بالونا للتجارب افلت عن طريق الخطأ من احد المراصد القريبة من ديفون في نفس الليلة التي ظهرت خلالها الخطوات الغامضة، وان هذا البالون كان مربوطا بسلسلتين طويلتين سحبهما خلفه عند جنوحه فتركتا آثارا على الثلج أثناء مرورهما فوقه

وظن الناس أن آثار السلسلتين هي خطى حيوان أو مخلوق غامض، وهذا يفسر أيضا عبور الخطوات الغامضة للجدران العالية ولأسطح المنازل والأنهر والمسطحات المائية.

فرضية البالون جاءت بعد سنوات طويلة على حادثة ديفون وعلى لسان رجل زعم أن جده كان يعمل آنذاك في المرصد الجوي الذي افلت منه البالون وانه قد تم التستر على الحادثة آنذاك لأن البالون كان قد تسبب خلال مسيره ببعض الخسائر في ممتلكات الناس فخاف المرصد من أن يطالب هؤلاء بالتعويض وتكتم على الأمر.

لكن مشكلة فرضية البالون تكمن في عدم وجود إثبات رسمي يؤكد إفلات احد البالونات في ليلة الحادثة كما أن عدم تعلق سلاسل البالون المتدلية بأي شيء رغم مرورها بالعديد من المنازل والأسوار والصخور والأشجار لمسافة مئة ميل وعدم مشاهدة البالون وسلاسله أو حتى سماع أصواتهما من قبل أي شخص خلال هذه المسافة الطويلة تبديان أمرا غير منطقيا تماما، ثم كيف سار البالون على هذا الارتفاع الثابت والمستقيم لمسافة مئة ميل؟.

هناك طبعا فرضية أخرى آمن وصدق بها معظم الناس آنذاك وهي تعتقد أن هذه الخطوات تعود فعلا للشيطان أو إلى احد المخلوقات الخرافية التي لم يثبت وجودها أبدا مثل جاك الوثاب. لكن فرضية المخلوقات الخارقة مرفوضة طبعا من قبل العلماء جملة وتفصلا.

الخطوات الغامضة ظهرت عدة مرات خلال تاريخ انجلترا قبل وبعد حادثة ديفون، إحدى أقدم الإشارات إلى هذه الظاهرة وردت في مخطوطة قديمة تحدثت عن ظهور مثل هذه الخطوات بعد عاصفة رعدية عنيفة في عام ١٢٠٥ ميلادية. كما أن دول أخرى غير انجلترا عرفت أيضا ظهور مثل هذه الخطوات كما حدث في اسكتلندا وبولندا خلال فترات متباينة ونسبت الظاهرة أيضا إلى مخلوقات خرافية. المثير في الموضوع هو أن خطوات غامضة أخرى ظهرت في ديفون مرة أخرى في ١٢ مارس عام ٢٠٠٩ وأيضا من دون تتوفر أي تفسير مقنع لسبب ظهورها.

لغز المستشفى المهجورة

التى تعج بالأشباح

ما قصة الغرفة رقم ٥٠٢

ما أن ترى أطلاله حتى تقفز إلى ذهنك فورا جميع قصص الرعب والأشباح التي قرأت عنها أو شاهدتها على الشاشة. مبنى قديم تحول هو نفسه إلى شبح، أغلقوا أبوابه منذ أمد طويل وتركوه ليتعفن وحيدا على التل لعله يسقط أخذا معه ذكرياته المريرة وأشباحه المعذبة. جدرانه الكئيبة المظلمة اعتصرت أرواح آلاف البشر، ويبدو أن بعض تلك الأرواح تأبى أن تغادر إلى العالم الأخر ظنا منها بأنها لازالت على قيد الحياة وبأن الموت لم يدركها بعد، لذلك هي تمضي هائمة على وجهها بين الطوابق والردهات الخاوية التي تنبعث منها رائحة المرض والموت، أشباح حائرة طالما أدخلت الهلع إلى قلوب الزوار النادرين الذين تجرؤا على دخول مستشفى الرعب.

على قمة احد التلال بالقرب من مدينة لويفيل الأمريكية تنتصب أطلال بناية ضخمة ذات خمسة طوابق، أطلال تبعث شعورا بالوحشة في قلب من يراها لأنها غارقة في الظلام ومهجورة إلا من بعض الحيوانات والطيور التي اتخذتها ملجأ ومنزلا لها. ضخامة البناء قد تدفع الإنسان للتساؤل بدهشة عن سبب بقاءه خاليا ومهملا، وقد تزداد دهشته حين يعلم بأن هذا البناء كان يوما ما مؤسسة صحية كبيرة تنبض بالحياة وتعج بالناس كخلية

نحل. لكن فجأة توقف كل شيء وغادر الجميع على عجل تاركين الطوابق والردهات المزدحمة بالناس لتتحول إلى فضاءات خالية غارقة في الظلام والصمت.

لكن مهلا! .. يبدو أن البعض لم يغادر...

أحيانا كانت هناك كرة جلدية تتدحرج فجأة وسط الظلام ليثب خلفها صبي صغير يرتدي سروالا قصيرا كسراويل المدارس، كان يلتقط كرته ثم يرميها مرة أخرى ويهرول خلفها من دون أن يأبه لتلك الممرات المظلمة والموحشة من حوله .. كأنه أصلا لا يراها!.

هناك أيضا فتاة صغيرة تنسل بخفة ورشاقة بين الغرف الخاوية، بالكاد تدركها العين، لكن ضحكتها الطفولية كانت ترن في المكان مثل الجرس، كانت تمرح كأنها تمارس لعبة الاختباء مع أطفال آخرين غير مرئيين.

سكان المبنى المهجور ليسوا جميعهم أطفال، ففي بعض الليالي المقمرة تظهر امرأة تهرول بين ردهات الطابق الأرضي، ثيابها ممزقة ويديها مخضبة بالدماء، تصرخ طلبا للنجدة من دون أن يجيبها احد، كانت تقف للحظات تتلفت خائفة وحائرة ثم تركض مرة أخرى وتتلاشى وسط الظلام.

هناك الكثير من الأمور الغريبة التي تحدث داخل المبنى المهجور، شبابيك وأبواب تفتح وتغلق من تلقاء نفسها، صرخات مشحونة بالألم والحزن تتردد داخل المبنى من دون أن يعرف احد مصدرها. أشخاص

مجهولون يظهرون ويختفون بسرعة كبيرة في الظلام من دون أن يعلم أي شخص من هم ومن أين أتوا؟!.

الموت الأبيض

يقال بأن الأمور الغريبة التي تجري داخل المبنى لها علاقة بماضيه، فقبل سنوات طويلة كان هذا المبنى الضخم يستخدم كمصحة لمرضى "الموت الأبيض" وهو الاسم الذي كان الناس يطلقونه على مرض السل قبل قرن من الزمان. في تلك الأيام كان السل من الإمراض المستعصية التي لا علاج لها لأن الطب لم يكن قد توصل بعد إلى تصنيع المضادات الحيوية التي بإمكانها القضاء على "عصية كوخ" المسببة للمرض، وبغياب المضادات الحيوية واللقاحات كان المرض ينتشر حول العالم كالوباء فاتكا بأرواح ملايين الناس.

كان أطباء ذلك الزمان يعتقدون بأن علاج السل الوحيد يكمن في الراحة التامة والتعرض المباشر لأشعة الشمس واستنشاق الهواء النقي الخالي من التلوث، ولهذا السبب أنشئت العديد من مصحات معالجة السل في المناطق الريفية المعروفة بنقاء هواءها. وقد كانت مصحة ويفرلي هيلز "Waverly Hills Sanatorium" هي إحدى تلك المصحات التي شيدت في ريف ولاية كنتاكي عام ١٩١٠ على أنقاض مدرسة ريفية قديمة يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر. كانت مصحة خشبية وصغيرة الحجم تتألف من طابقين بسعة ٢٠ سريرا لكل منهما. لكن في عشرينيات القرن المنصرم، مع انتهاء الحرب العالمية الأولى وعودة آلاف الجنود المصابين

بالسل من جبهات القتال في أوربا، تفشت موجة جديدة وشرسة من الوباء سرعان ما اجتاحت أجزاء كبيرة من الولايات المتحدة، وكانت لمدينة ويلفيل في ولاية كنتاكي حصة الأسد من حيث نسبة الإصابات بسبب المستنقعات المحيطة بها والتي خلقت جوا وبيئة مثالية لانتشار المرض. ولأن المصحة القديمة لم تعد تتسع لأعداد المصابين الكبيرة، لذلك قررت الحكومة عام ١٩٢٤ بناء مصحة كبيرة إلى جانب المصحة الخشبية القديمة في ويفيري هيلز. واعتبرت المصحة الجديدة واحدة من أحدث وأضخم مصحات علاج السل في الولايات المتحدة عند افتتاحها رسميا عام ١٩٢٦، إذ كانت تتألف من خمسة طوابق مبنية بالقرميد الأحمر وتستوعب أكثر من ٤٠٠ مريض.

نفق الموتى

كما أسلفنا فأن الأطباء في مطلع القرن الماضي كانوا يعتقدون بأن شفاء الوحيد للسل يكمن في التغذية الجيدة والراحة التامة والتعرض لأشعة الشمس والهواء الطازج النقي بصورة مستمرة. وفي الحقيقة فأن العديد من مرضى ويفيرلي هيلز استعادوا عافيتهم وغادروا المصحة، لكن هناك أيضا المئات ممن لم يسعفهم القدر فماتوا.

كانت طرق العلاج بدائية وقاسية أحيانا، كان المرضى يسحبون على أسرتهم يوميا ليوضعوا قبالة شباك كبير مفتوح من اجل التعرض للهواء النقي وأشعة الشمس، هذه العملية كانت تجري يوميا لساعات طويلة ومهما كانت طبيعة الجو، حتى في الشتاء عندما تهطل الثلوج وتتدنى درجات

الحرارة لما دون الصفر كان المرضى يوضعون قبالة هذه الشبابيك وهم يرتجفون من شدة البرد.

وبسبب طبيعة المرض الغامضة آنذاك، كان الأطباء يستخدمون مرضاهم أحيانا كفئران تجارب. كانوا يخلعون ضلع أو ضلعين من القفص الصدري للمريض لكي يتركوا للرئة مساحة أوسع للتمدد والتنفس، وفي بعض الأحيان كانوا يتركون الصدر مفتوحا لكي تتعرض الرئة لأشعة الشمس مباشرة!!. و الأغرب من ذلك هو أنهم كانوا يقومون في بعض الحالات المتأخرة للمرض بإدخال بالون إلى رئة المريض ثم ينفخونه لكي تتوسع الرئة!.

كان الذين يتماثلون للشفاء تماما يغادرون المصحة ليتلقاهم ذويهم بالأحضان عند البوابة الرئيسية، أما أولئك الذين يقضون نحبهم داخل المصحة فكانوا يغادرون عبر نفق طويل ينحدر لمسافة مئة وخمسون مترا أسفل المصحة نحو بوابة صغيرة تقع عند قاعدة التل الذي تنتصب فوقه المصحة. كانت جثث المرضى تسحب ويتم إخراجها عبر هذا النفق لكي لا يراها بقية المرضى فتخور معنوياتهم لأن الأطباء في ذلك الزمان – واليوم أيضا – يعتقدون أن معنويات المريض لها الدور والأثر الأكبر في التعافي والشفاء. ويقال بأن بعض العاملين في المصحة كانوا يتعاملون مع جثث الموتى برعونة وعدم احترام لحرمتها، فكانوا يقومون بسحلها أو دحرجتها كالبراميل إلى أسفل النفق ليكدسوها مع بقية الجثث، وبسبب هذه التصرفات اكتسب هذا النفق سمعة سيئة ودارت الكثير من القصص المخيفة حوله.

بحسب بعض الإحصاءات فان عدد المرضى الذين ماتوا داخل المصحة خلال نصف قرن من الزمان يقدر بحوالي ٦٤٠٠٠ شخص ، أما السجلات الرسمية للمصحة فتشير إلى عشرة آلاف فقط. وفي واقع الأمر كان عشرات المرضى يلفظون أنفاسهم يوميا في أوج تفشي الوباء، لكن ثلاثينات القرن المنصرم شهدت انحسار المرض بشكل كبير، وأدى تصنيع المضادات الحيوية في الأربعينات إلى تقلص عدد المرضى إلى درجة انعدمت الحاجة معه إلى مصحات ضخمة ومكلفة مثل مصحة ويفيرلي هيلز التي أغلقت أبوابها تماما كمصحة لعلاج السل عام ١٩٦١، لكن تم افتتاحها ثانية عام ١٩٦٢ كمستشفى لعلاج ورعاية المسنين تحت اسم " **Woodhaven Geriatrics Hospital** ".

ولعقدين من الزمان كان الغموض يحيط طبيعة عمل المشفى الجديد الذي دار حوله الكثير من اللغط، البعض زعموا بأن تجارب سرية تجري داخله، فيما زعم آخرون بأنه متخصص بعلاج الأمراض العقلية وصار الكثير من الناس يعتقدون بأنه مستشفى للمجانين. وبعيدا عن الشائعات والتكهنات فأن أمورا غير طبيعية جرت فعلا داخل المستشفى وأدت إلى إغلاقه نهائيا عام ١٩٨١ على اثر فضيحة متعلقة بتعذيب وإيذاء المرضى.

وبعد إغلاقه تناوب على امتلاك المبنى عدة أشخاص، ويقال بأن المالك الثاني أراد هدمه لإنشاء مجمع سكني مكانه، لكن قانون الولاية كان يمنع هدم المباني الأثرية، لذلك بذل المالك جهده لكي يسقط المبنى من تلقاء نفسه، فشجع المشردين على تخريبه وسرقة محتوياته، وقام بحفر خندق مائي حوله لتخريب أساساته. لكن بالرغم من كل ذلك، ولسوء حظ

المالك، فأن المبنى أبى أن يسقط وظل صامدا، بيد أنه أصيب بخراب كبير بطبيعة الحال وتحول إلى مبنى كئيب موحش، وراح الناس يتناقلون قصصا غريبة عما يجري داخله، فالعديد من المشردين الذين كانوا يدخلون المبنى ليلا من اجل المبيت أو السرقة شاهدوا في ردهاته وممراته المظلمة أمورا جعلتهم يفكرون مرتين قبل أن يقتربوا منه مرة أخرى.

وفي عام ٢٠٠١ اشترى المبنى زوجان شرعا بتنظيم جولات سياحية لعشاق قصص الأشباح ومحبي الأحداث الغامضة وسرعان ما صار المبنى من أشهر الأماكن المسكونة في أمريكا، اخذ الناس يتحدثون عن الأصوات الغريبة والمجهولة المصدر التي تتردد بين جنباته، الأبواب التي تغلق وتفتح من تلقاء نفسها والمصابيح القديمة التي تضاء رغم أن الكهرباء مقطوعة عن المبنى منذ عقود! وصرخات الرعب القادمة من نفق الموتى الموجود أسفل المبنى.

في كل ركن شبح!

يقال بأن هناك العديد من الأشباح في ويفرلي هيلز، وقد اكتسب بعضها شهرة واسعة. ففي الطابق الثالث هناك شبح الطفلة "ماري" التي زعم العديد من زوار المبنى بأنهم شاهدوها وهي تركض بسرعة بين الردهات والغرف المظلمة، احد الزوار زعم انه واجه شبح الطفلة في إحدى غرف الطابق الثالث وبأنها بدت طفلة "غير سوية"، كانت تتحدث كثيرا وتصر على أنها لا تملك عيون! .. وقد تملك الرعب من الرجل إلى درجة انه غادر المبنى على عجل واخذ يتجنب حتى مجرد المرور بالقرب منه.

هناك شبح طفل أخر لا يقل شهرة عن ماري، انه شبح طفل يسميه الناس "بوبي" ويقولون أنه يجري عبر ممرات المبنى الموحشة مطاردا كرته الجلدية القديمة، لكن ليس الجميع شاهدوا بوبي، فالبعض سمعوا صوت كرته فقط.

هناك أيضا بعض الزوار الذين سمعوا أصوات أطفال تصدر عن سطح المبنى، أصوات تترنم بأغاني قديمة وضحكات جذلة كأنها صادرة عن مجموعة من الأطفال يلعبون ويمرحون. البعض ظن للوهلة الأولى بأن هناك حقا مجموعة من الأطفال تلعب فوق سطح المبنى، لكنهم صدموا عندما علموا أن المبنى خالي تماما، وتملكهم رعب شديد حين علموا بأن الأطفال المصابين بالسل كانوا يؤخذون إلى سطح المصحة للتعرض إلى أشعة الشمس وان العديد من أولئك الأطفال ماتوا داخل المصحة أثناء تفشي وباء السل في عشرينيات وثلاثينيات القرن المنصرم.

مطبخ المصحة لم يتبقى منه شيء يدل على انه كان يوما ما مطبخا عامرا يغص بما لذ وطاب من الأطعمة، القاعة اليوم خالية تماما تزدان جدرانها بالشقوق الطويلة واختفى سقفها تماما، لكن العديد من زوار المبنى اقسموا بأنهم شاهدوا شبحا لرجل يرتدي ملابس بيضاء تشبه ملابس الطباخين يمشي داخل القاعة وأحيانا يدفع عربة طعام في خرائب الكافتريا القريبة من المطبخ، هناك من سمعوا صوت خطواته تتردد داخل القاعة من دون أن يروه لكن معظم الزوار قالوا بأنهم شموا رائحة خبز حار تصدر عن خرائب المطبخ كأنه خبز اخرج من الفرن توا!.

هناك أيضا شبح سيارة قديمة سوداء من النوع الذي كان يستعمل لنقل الجثث في مطلع القرن المنصرم، هذه السيارة الشبح تظهر في بعض الليالي لتقف عند أسفل التل الذي تنتصب فوقه المصحة حيث باب النفق القديم الذي كان يستخدم لإخراج الجثث، وفجأة يخرج رجلان من العدم ويبدأن برمي التوابيت إلى داخل السيارة تماما مثلما كان يحدث قبل قرابة القرن من الزمان لكن مع فارق مهم وهو أن المستشفى مغلق ومهجور ولا توجد داخله أي توابيت أو جثث!.

لعل الطابق الرابع هو أكثر أجزاء المبنى ازدحاما بالأشباح، فأغلب الزوار قالوا أن برودة غريبة سرت في أجسادهم ما أن وطئت أقدامهم أرضية هذا الطابق، أحسوا بكآبة مباغتة تطغي على مشاعرهم وشعر معظمهم بأن الهواء أصبح ثقيلا بصورة مزعجة. في هذا الطابق شوهدت العديد من الأشباح تتحرك كأنها ظلال شفافة تظهر وتختفي بسرعة داخل الممرات المظلمة ، وقد يكون شبح الطبيب هو أشهر تلك الأشباح، فهو يرتدي بذلة بيضاء ويتنقل بين الغرف كأنه طبيب حقيقي يعاين مرضاه. مصور احد البرامج التلفزيونية الذي كان يستهزئ بقصص الأشباح شاهد أثناء وجوده في الطابق الرابع رجلا يرتدي ثياب بيضاء يدخل بسرعة إلى إحدى الغرف، في البداية ظن المصور بأن هناك رجل حقيقي يتجول في الطابق لكن عندما لحق بالرجل إلى الغرفة التي دخل إليها وجدها خالية تماما، وحين أدار وجهه نحو الممر شاهد نفس الرجل يدخل إلى غرفة أخرى. المصور أحس بشعر جسده ينتصب من الرعب فغادر بسرعة رافضا الاستمرار بالتصوير أو الدخول إلى المبنى مرة أخرى.

سر الغرفة رقم ٥٠٢

الطابق الخامس لا يقل رعبا عن الطابق الرابع، عادة ما تتردد داخله أصوات غريبة وموحشة خصوصا في بعض أجنحته التي كان يحبس فيها مرضى السل الذين أصيبوا بالجنون. أما الأجنحة الأخرى فكانت مخصصة للأطفال ولسكن الممرضات. وفي هذا الطابق تقع أكثر الأماكن رعبا في المبنى، أنها الغرفة الشهيرة رقم ٥٠٢. قصة هذه الغرفة تعود إلى عام ١٩٢٨ عندما كانت تسكنها إحدى الممرضات الشابات التي انتحرت لأسباب مجهولة، شنقت نفسها داخل الغرفة وبقت معلقة لفترة طويلة قبل أن يعثروا عليها، الفتاة كانت عازبة لكن الأطباء الذين شرحوا جثتها اكتشفوا بأنها كانت حامل عند انتحارها ومازال الغموض يلف ظروف حملها وانتحارها حتى يومنا هذا. لكن قصة الغرفة لا تنتهي هنا .. فبعد أربع سنوات على حادث الانتحار سكنت في نفس الغرفة ممرضة أخرى، والغريب أنها هي أيضا انتحرت لأسباب مجهولة، خرجت من غرفتها في إحدى الليالي ورمت بنفسها من فوق سطح المبنى فهوت ميتة في الحال. واليوم يزعم العديد من زوار المصحة بأنهم شاهدوا شبح فتاة شابة ترتدي ملابس الممرضات البيضاء وهي تدخل إلى الغرفة رقم ٥٠٢، وحين يتبعونها يفاجئون بأن الغرفة خالية تماما، كما زعم البعض منهم بأنهم سمعوا أثناء تواجدهم في الغرفة صوت فتاة خفية مجهولة تصرخ بهم قائلة : "أخرجوا في الحال!".

سمعة المبنى المخيفة لا تقتصر على قصص الأشباح، فقد سرت شائعات في السنوات الأخيرة بأن بعض الجماعات السرية مثل عبدة

الشيطان اتخذوا من المبنى مقرا لممارساتهم وطقوسهم السحرية والشيطانية، لذلك قام مالكو المبنى الجدد عام ٢٠٠٨ بإحاطته بسياج حديدي وتم نصب كاميرات مراقبة ووضع حراس يراقبون على مدار الساعة، لا احد يعلم لماذا هذه الحراسة المشددة على خرائب مبنى مهجور وماذا يحدث في الداخل، لكن هناك أخبار عن عزم المالك الجديد لتحويل المبنى إلى فندق أربعة نجوم وإعادة تأهيل الطابق الرابع ليعود بالضبط كما كان في عشرينيات القرن المنصرم.

هل هناك أشباح حقا في وفيرلي هيلز؟

في الحقيقة لا يوجد أبدا ما يثبت حقيقة القصص التي تدور عن المبنى، لا تنسى عزيزي القارئ بأن ضخامة البناء وتاريخه المأساوي قد يكون لها الأثر الأكبر في جعل الناس تتخيل الكثير من الأمور داخله، فعلى سبيل المثال لا يوجد في السجلات الرسمية ما يثبت انتحار ممرضتان في الغرفة ٥٠٢ لكن شهرة القصة قد توحي لزوار المبنى بالكثير من التخيلات. ولا ننسى أثر العامل النفسي، فزوار المبنى سمعوا مقدما أمورا غريبة ومخيفة حول ما يجري داخل خرائب المصحة لذلك هم يتوقعون رؤية هذه الأمور عند تجوالهم في الداخل، وعليه فقد يصبح أي ظل أو بقعة داكنة شبحا .. ويصبح أي صوت بفعل الريح صادر عن شبح.

وبصراحة فأن سجلات مصحة ويفرلي هيلز الرسمية تؤكد موت آلاف الناس داخلها وبصورة مأساوية خلال عدة عقود. لكن يجب أن نتذكر بأن

جميع مستشفيات العالم تشهد موت العديد من المرضى فهل يعني هذا أن جميع مستشفيات العالم مسكونة بالأشباح؟!.

على العموم يبقى خيار تصديق أو تكذيب هذه القصة متروك إليك عزيزي القارئ .. ومن يدري ربما تكون هناك أشباح حقيقية داخل ويفرلي هيلز!.

لغز القلب الشجاع

براعة في تزوير التاريخ!

أظن إن معظمنا شاهد فيلم "القلب الشجاع" رائعة الممثل والمخرج ميل جيبسون، هذا الفيلم الذي تدور أحداثه حول حياة ونضال بطل قومي اسكتلندي عاش في القرون الوسطى وحارب ببسالة من اجل تحرير بلده من براثن الانجليز. قصة ربما تكون قد تكررت عبر القرون في بلدان مختلفة حول العالم وكان المستعمر الانجليزي هو القاسم المشترك بينها جميعا، و قد يكون هذا القاسم سببا رئيسيا لتعاطف ملايين الناس حول العالم مع السير وليم واليس ورفاقه الاسكتلنديين، لكن للأسف فأن ما لا يعلمه معظم هؤلاء الناس هو أن الفلم مثله مثل اغلب أفلام هوليوود التاريخية مليء بالمغالطات والأكاذيب التي يرفضها علماء التاريخ جملة وتفصيلا، أكاذيب استقاها مؤلف الفلم من ملحمة شعرية أسطورية قديمة من دون الالتفات إلى الحقائق والوقائع التاريخية الحقيقية.

قصة فيلم "القلب الشجاع" - باختصار لأني اعتقد أن اغلب القراء شاهدوا الفلم- تبدأ مع طفولة السير وليم واليس التي شهدت مقتل كل من والده وشقيقه لأنهم أرادا التمرد على خطط ملك انجلترا ادوارد الأول الملقب بالساق الطويلة في الاستيلاء على العرش الاسكتلندي، وبعد مقتل والده يذهب واليس الصغير ليعيش مع عمه خارج اسكتلندا ثم يعود بعد عدة سنوات شابا يافعا عازما على تجنب المشاكل والعمل كمزارع بسيط.

يلتقي واليس بصديقة طفولته مارون ويرتبط الاثنان بعلاقة حب تنتهي بزواجهما سرا ليتجنبا الوقوع تحت طائلة قانون حق السيد، وهو قانون يمنح الحاكم الانجليزي حق مضاجعة العرائس في ليلتهن الأولى قبل دخول أزواجهن عليهن. لكن الانجليز يكتشفون أمرهما فيعتقلون مارون ويقتلوها وينتقم واليس لها بقتل الشريف الانجليزي، ويؤدي عمله هذا إلى أن يلتف حوله العديد من المحاربين الساخطين من مختلف العشائر الاسكتلندية حيث يقودهم إلى أولى معاركه وانتصاراته الكبيرة في ستيرلينغ.

إلا أن واليس يتعرض بعد عدة أشهر لهزيمة ماحقة في معركة فالكيرك بسبب غدر رؤساء العشائر الاسكتلندية الذين انسحبوا مع فرسانهم من ساحة المعركة تاركين واليس ورفاقه المشاة تحت رحمة نبال الرماة الانجليز.

بعد الهزيمة في فالكيرك يختفي واليس ويبدأ بقيادة المقاومة الاسكتلندية فينتقم من بعض الأشراف الذين خانوه ويقدم على مهاجمة البلدات الحدودية الانجليزية فيقوم ملك انجلترا بإرسال زوجة ابنه الأميرة الحسناء إيزابيلا الفرنسية لمفاوضته، لكن لقاء الاثنين التفاوضي سرعان ما ينتهي في الفراش! والذي يفضي بدوره إلى حمل الأميرة بطفل واليس. من اجل كسب دعم الأشراف الاسكتلنديين يذهب واليس إلى قلعة الأمير روبرت بروس فيقوم والد الأمير بالغدر به و تسليمه إلى الانجليز الذين يعتقلونه ويأخذونه إلى لندن حيث يحكم عليه بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى .

المشاهد الأخيرة من الفلم تصور إعدام واليس في إحدى ساحات لندن العمومية حيث يعذب أولا فتبقر بطنه وتستخرج أحشاءه، وحين يعرض عليه القاضي موتا سريعا مقابل طلب الرحمة يستجمع واليس كل قواه ويصرخ بكلمة "الحرية". وبعد موته يستمر رفاقه في النضال بقيادة الأمير روبرت بروس.

القصة الحقيقية للسير وليم واليس

السير وليم واليس (Sir William Wallace) هو شخصية حقيقية ولد في اسكتلندا عام ١٢٧٢ وكان له دور كبير في بث روح التمرد في نفوس مواطنيه ضد الاحتلال الانجليزي لبلدهم ومن ثم قيادة ذلك التمرد خلال الفترة الأولى لما يعرف تاريخيا بحرب الاستقلال الاسكتلندية الأولى (١٢٩٦ – ١٣٢٨). وقد لا يختلف علماء التاريخ حول الدور القيادي لوليم واليس في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ اسكتلندا، لكنهم لا يتفقون بتاتا مع الصورة التي ظهر بها في فيلم القلب الشجاع (Braveheart) الهوليودي عام ١٩٩٥. صحيح أن الفيلم من حيث الإطار العام يدور حول أحداث تاريخية حقيقة، لكنه اخفق تماما في تقديم تفاصيل تلك الأحداث، فالتاريخ لا يخبرنا بالكثير عن واليس الحقيقي، مثلا أين ولد ؟ كيف نشأ وأين أمضى طفولته وشبابه ؟ هل تزوج فعلا وما هو اسم زوجته ؟ .. الخ فالمعلومات حول هذه الأمور متضاربة وتكاد تكون مجهولة لذلك فأن مؤلف سيناريو الفيلم راندل واليس اعتمد في كتابته كليا على ملحمة شعرية قديمة تعود للقرن الخامس عشر الميلادي، أي بعد قرنين من موت واليس، كتبها

شخص يدعى هاري الأعمى، وقد اجمع علماء التاريخ على أن اغلب ما ورد في تلك المخطوطة الشعرية لا يمت إلى الحقيقة بصلة وإنما هو مستمد من قصص وحكايات أسطورية تناقلها الناس شفاها لأجيال، ولذلك فأن المخطوطة تحفل بالأخطاء التي لا تتوقف عند اختراع معارك و حروب لم تحدث أبدا ولكنها تشمل حتى أسماء المناطق التي عاش واليس ردحا من حياته فيها وكذلك أسماء بعض الشخصيات التي كان له احتكاك معها.

الطريف أن الممثل ميل جيبسون (Mel Gibson) نفسه، وهو الذي قام بإنتاج وإخراج الفيلم و أدى دور وليم واليس ، قال عام ٢٠٠٩ تعليقا على فيلمه : "ان واليس الحقيقي كان وحشا ، كانت تنبعث عنه رائحة الدخان ، لأنه كان دائما يحرق قرى الناس ويدمرها، لقد كان اقرب الى الشخصية التي يطلق عليها الفايكنغ اسم –Berserker (٣)–". وهذه حقيقة يؤيدها التاريخ، ليس لأن واليس كان قاسيا أو متوحشا، لكن ببساطة لأنه رجل عاش في القرن الثالث عشر الميلادي وتصرف مثل معظم محاربي ذلك الزمان، أما النبل و الشهامة والطيبة التي أسبغها الفلم على واليس فيقول عنها ميل غيبسون : "لم يكن واليس الحقيقي لطيفا بالقدر الذي ظهر عليه في الفلم، لقد قمنا بإضافة بعض الخيال والعاطفة إليه، لقد قمنا بذلك لأن شخصا ما كان يجب أن يكون طيبا في مقابل الشخصية السيئة في الفيلم".

وبغض النظر عن تفاصيل حياة واليس الحقيقي فأنه بالتأكيد لم يكن مزارعا فقيرا كما شاهدنا في الفلم، إنما كان ينتمي إلى عائلة ارستقراطية كبيرة وغنية تملك بعض الإقطاعيات. أما مشهد رؤية الطفل واليس لإعدام

والده وشقيقه على يد الانجليز فهو غير صحيح تماما لأن الغزو الانجليزي لاسكتلندا بدأ عام ١٢٩٦، أي عندما كان واليس شابا في الرابعة والعشرين من عمره وقبل ذلك التاريخ لم يكن هناك أي وجود للانجليز على التراب الاسكتلندي. ولهذا السبب أيضا فأن الخطبة المؤثرة التي ألقاها واليس على الجنود الانجليز خلال احد مشاهد الفلم طالبا منهم الجلاء عن اسكتلندا والعودة إلى انجلترا، قائلا بغضب : "توقفوا عند كل بيت - اسكتلندي- تمرون به لتطلبوا المغفرة على مئة عام من السرقة و الاغتصاب و القتل"، هي محض كذب، لأن العلاقة بين اسكتلندا وانجلترا كانت طبيعية وسلمية لمدة ثمانين عاما قبل الغزو، لكن المشاكل بدئت عندما مات ملك اسكتلندا الكساندر الثالث من دون أن يعقب مما أدى لحدوث مشاكل داخلية بين العشائر الاسكتلندية المتنافسة فيما بينها وهو الأمر الذي فسح المجال أمام ادوارد الأول ليدعي أحقيته بعرش اسكتلندا وما تبع ذلك من غزو وتمرد وحروب استمرت لثلاث عقود عرفت بأسم حرب الاستقلال الاسكتلندية الأولى. خلال تلك الحروب تبادل الطرفين حرق المدن وقتل الأبرياء، إذ إن واليس نفسه عاث فسادا على الحدود الانجليزية فأحرق القرى وقتل القرويين الفقراء كما فعل ادوارد الأول – الساق الطويلة - وجنوده بالضبط مع المدن والقرى الاسكتلندية، فالرجلين في الحقيقة كانا وجهان لعملة واحدة من حيث القسوة والرغبة في الانتقام.

أما بالنسبة للقصة التي يسوقها الفيلم لبداية تمرد واليس ضد الانجليز فهي خرافة تستحق التوقف عندها، فالفيلم يزعم أن ذلك كان بسبب مقتل زوجته مارون لأنها رفضت الخضوع لقانون حق السيد أو حق الليلة

الأولى. ففي المقام الأول لا يوجد ما يثبت أن ملك انجلترا ادوارد الأول سن قانونا كهذا أو أن تقليدا كهذا قد طبق فعلا في يوم من الأيام. نعم يمكن أن يحدث، وحدث حتما اغتصاب وانتهاك للأعراض خلال الحروب، لكن أن يتم تشريع قانون يبيح ذلك في أوقات السلم ويطبق على الجميع فهو أمر لا يمكن تخيله ولا يقره أي عرف أو دين. كما أن المعلومات حول تفاصيل حياة واليس متضاربة كما أسلفنا، فالمؤرخون لم يذكروا شيئا عن زواجه أو اسم زوجته باستثناء ما ورد في أسطورة هاري الأعمى، لذلك لا يعرف على وجه الدقة ما إذا كان واليس قد تزوج أصلا وهل أن شخصية مارون حقيقية؟.

وهناك خرافة أخرى لا تقل غرابة حول سبب تمرد واليس وتزعم أن ثورته لا علاقة لها لا بالحب ولا بالانتقام وإنما كانت بسبب عدة سمكات!! ففي احد الأيام كان واليس يصطاد السمك على أحد الأنهار حين مر به عدد من الجنود الانكليز وأرادوا سلبه جميع ما اصطاده فعرض عليهم واليس اقتسام صيده لكن الجنود أصروا على أن يأخذوا السمك كله فغضب واليس وقتلهم جميعا وكانت هذه الحادثة هي الشرارة التي أشعلت التمرد.

لكن بعيدا عن الأساطير، فأن علماء التاريخ يعتقدون أن الحادثة الحقيقية وراء تمرد واليس وقعت عندما كان طالبا في إحدى مدارس النبلاء العليا إذ تشاجر مع زميل له من طبقة النبلاء الانجليز وقتله فنال عمله هذا إعجاب واستحسان العشائر الاسكتلندية الساخطة فالتفت حوله وقاتلت معه.

بالنسبة للحروب التي خاضها وليم واليس، ففي معركة ستيرلينغ التي انتصر فيها على الانجليز، شاهدنا حربا بين جيشين فوق أرض مفتوحة، في حين أن ما حدث فعلا على ارض تلك المعركة هو مغاير لذلك تماما، فالاسكتلنديين هاجموا الانجليز بينما كانوا يعبرون جسرا فوق احد الأنهر وقد كان هذا الجسر عاملا هاما في انتصار واليس و رفاقه، لكننا في فلم "القلب الشجاع" لا نشاهد أي جسر. كما اغفل الفلم ذكر اندرو موري الذي قاد الاسكتلنديين في تلك المعركة جنبا إلى جنب مع واليس. أما في معركة فالكيرك فالفلم يرينا المشاة الايرلنديين في جيش ادوارد الأول يرفضون قتال الاسكتلنديين ويتلقوهم بالأحضان في ساحة المعركة!، لكن التاريخ يخبرنا بأن الايرلنديين في ذلك الزمان قاتلوا تحت راية ادوارد الأول بإخلاص، أما من كانوا يكرهون ادوارد من صميم قلوبهم ويتحينون به الفرص فهم الويلزيين (الاسكتلنديين والايرلنديين والويلزيين جميعهم أبناء عم تعود أصولهم إلى قبائل السيلت) الذي كان ادوارد قد جرد عدة حملات دموية ضدهم في بداية عهده، لكن حتى هؤلاء لا يوجد أي دليل أو مصدر يثبت أنهم غيروا ولائهم أثناء المعركة لصالح الاسكتلنديين.

الطريف هو أن جميع الرجال الاسكتلنديين في الفيلم ظهروا وهم يرتدون تنوراتهم الرجالية المميزة والشهيرة، وهو أمر لا أساس له من الصحة، لأن الاسكتلنديين لم يعرفوا ويرتدوا التنورة الرجالية قبل القرن السابع عشر أي بعد ثلاثة قرون على حروب واليس. أما الانجليز فقد ظهروا في الفيلم وهم يرتدون زيا موحدا، وهو أمر غير صحيح، فمعظم محاربي الجيش الانجليزي لم يكونوا جنود نظاميين بل كانوا مزارعين

بسطاء اجبروا على مرافقة أسيادهم الفرسان الإقطاعيين في الحروب، وهذا كان معمولا به في جميع الأمم القديمة، فالدولة لم تكن تحتفظ بجيش نظامي كبير ولكنها كانت توزع الإقطاعيات على النبلاء و الفرسان في مقابل أن يزودها هؤلاء بالمقاتلين في زمن الحرب، وكان هؤلاء المقاتلين الفلاحين يرتدون ملابس بسيطة مهلهلة ويحملون أسلحة بدائية هي في الغالب ليست سوى معدات عملهم اليومي في الحقول مثل العصي و الفؤوس و المناجل .. الخ.

في الفيلم شاهدنا ادوارد الأول ملك انجلترا كرجل قاسي لا يعرف الرحمة، والرجل في الحقيقة لم يكن منزها عن هذه الصفات إذ تعرضت فترة حكمه الطويلة إلى عدة انتقادات، مثل غزوه لاسكتلندا، مع انه كان امرأ طبيعيا في العصور الوسطى أن تتدخل الدول الأوربية في شئون بعضها خاصة في أوقات الضعف والقلاقل ، وكان الملوك دائما ما يدعون الحق في الاستيلاء على عروش دول أخرى بسبب صلات النسب والقرابة التي كانت تجمع بين العائلات الحاكمة والطبقة الأوربية النبيلة، مثال على ذلك النزاع على العرش الانجليزي والفرنسي بين ملوك فرنسا وانجلترا. ومن الانتقادات الأخرى الموجهة لادوارد الأول هي تعامله الوحشي مع التمرد في ويلز وكذلك إخراج اليهود من مملكته ومصادرة أموالهم. لكنها أمور لو قارناها بما كانت الدول الأخرى تفعله في ذلك الزمان لعرفنا بأنها لم تكن غريبة أو شاذة. لكن مشكلة اغلب الناس اليوم هي أنهم ينظرون إلى ما حدث في الماضي بعيون اليوم، أي بمعايير حقوق الإنسان الحالية وهو أمر لا يستقيم مع مفهوم التطور و التدرج الحضاري الإنساني.

إضافة إلى الانتقادات التي ذكرناها أنفا لعهد ادوارد الأول فأن الرجل كان ضخما وطويلا (لذلك لقبوه بالساق الطويلة) عنيفا وسريع الغضب وهي صفات جعلته مرعبا في نظر رعيته إلا انه لم يخلو من حسنات أيضا مثل تقويته للسلطة المركزية وتأسيس البرلمان واهتمامه بتطوير القوانين وإدارة الدولة. لكن لأن معظم القصص تبنى على أساس الصراع بين الخير والشر، ولأن الشرير يجب أن ينال عقابه في النهاية – في السينما على الأقل –، لذلك عوقب ادوارد الأول في فيلم "القلب الشجاع" وهو على فراش الموت حين همس واليس –المحكوم بالإعدام– بإذنه ليخبره عن علاقته الجنسية بزوجة ابنه الأميرة إيزابيلا الفرنسية وأن حفيده المنتظر أي ملك انجلترا المستقبلي هو في الحقيقة ليس سوى ابن واليس غير الشرعي. لكن هذا الادعاء الذي ساقه الفيلم لنا هو زائف تماما ولا يستقيم أبدا مع الوقائع التاريخية الحقيقية، فادوارد الأول مات بعد إعدام واليس بسنتين اي عام ١٣٠٧ لذلك من المستبعد جدا أن يكون واليس قد همس بشيء ما في أذنه على فراش الموت، كما أن عمر إيزابيلا في زمان مفاوضات الانجليز مع واليس كان لا يتجاوز الثلاثة أعوام وهي سن لا تصلح طبعا لأجراء المفاوضات السياسية فضلا عن ممارسة الجنس والحمل بطفل غير شرعي!. وحين اعدم واليس كانت إيزابيلا في التاسعة من عمرها فقط وتعيش في قصر والدها في فرنسا لأنها لم تكن متزوجة بعد من ولي عهد انجلترا. والحقيقة هي أن إيزابيلا لم تكن أبدا أميرة انجليزية ولا حملت هذا اللقب على الإطلاق لأنها ببساطة لم تتزوج من ولي العهد إلا بعد أن أصبح

ملكا كما أنها لم تنجب ولي عهد انجلترا ادوارد الثالث إلا بعد سبع سنوات على إعدام واليس.

لكن للأمانة التاريخية فأن إيزابيلا التي وصفها مؤرخو زمانها بأجمل الجميلات، كان لها عدة عشاق وهناك شكوك قوية حول شرعية نسب أبنائها الأربعة الذين أصبح احدهم لاحقا ملك انجلترا ادوارد الثالث. وسبب خيانة الملكة لزوجها ادوارد الثاني تعود في الحقيقة إلى شذوذه الجنسي إذ عرف عنه ولعه بالغلمان و الشبان الوسيمين من الطبقة النبيلة. إلا أن بعض المؤرخين يعتقدون بأن ادوارد الثاني لم يكن شاذا و لكنه كان مزدوج الميول الجنسية (bisexual)، أي يميل إلى الذكور والإناث في آن واحد، وان أولاده من إيزابيلا هم من صلبه ، وبالطبع لا يوجد ما يؤكد أو ينفي هذا الأمر وقد لا يعلم حقيقته سوى الله.

رغم الأخطاء الكثيرة التي حفل بها فيلم "القلب الشجاع" إلا أن الجميع قد يتفقون على أنه أحد أروع ما أنتجته السينما العالمية من ناحية السيناريو والمؤثرات والتصوير والإخراج الساحر ولهذا فلا عجب انه حاز على خمسة جوائز اوسكار، وكان سببا في دفع الكثير من الناس حول العالم لمحاولة التعرف على التاريخ الاسكتلندي وأدى إلى زيادة الاهتمام بواليس في اسكتلندا فأقيمت له النصب التذكارية وتحول إلى أعظم بطل قومي في نظر الاسكتلنديين، فبغض النظر عن كل الحقائق التي ذكرناها، كان واليس محاربا في سبيل تحرير بلده من الانجليز الذين بدورهم اعتبروا الفلم منحازا و مشوها لتاريخهم (على أساس إن تاريخهم نظيف جدا!!) ومحرضا على الكراهية ضدهم، والحقيقة أن جزء كبير من سبب التعاطف

مع الفلم قد يعود إلى الكراهية التي يكنها الناس حول العالم للتاريخ الاستعماري الانجليزي والبريطاني، وربما كانت هوليوود ترمي من وراء الفلم إلى تذكير الأمريكان بالحرب الدموية التي خاضتها الولايات المتحدة نفسها في القرن الثامن عشر للاستقلال عن بريطانيا.

١ - العشائر الاسكتلندية (Scottish clans): نظام اجتماعي قبلي يفترض انه قائم على رابطة النسب الواحد، أي أن جميع أفراد العشيرة يعودون إلى أصل وأب واحد ويتوارثون الحق في الانتساب إلى العشيرة عن طريق الأبناء الذكور فقط (ربما يجد البعض في هذا تمييزا ضد المرأة إلا أن اغلب المجتمعات القديمة هي مجتمعات ذكورية، أما اليوم فأن اغلب الأوربيين لا يكترثون لهذه الأمور وهناك الكثير من الأطفال ممن لا يعرفون من هو أباهم الحقيقي وينسبون إلى عائلة أمهم – الأمهات العازبات –) ، وكل عشيرة اسكتلندية لها شعارها الخاص وتنورتها الرجالية الخاصة بها ولها رئيس لديه شعاره الخاص. و تتكون العشيرة من عائلات المفروض أنها ترتبط جميعا برابط الدم والأصل الواحد، لكن بمرور الزمن انضمت إلى انساب العشائر عائلات غريبة عنها عن طريق المجاورة أو الزواج.

٢ –الخيانة العظمى هي التآمر للإطاحة بالملك أو التعاون مع العدو وأضيف إليها لاحقا تهمة السعي لتحويل البروتستانت الانجليز إلى الكاثوليكية. طريقة إعدام المدانين بالخيانة العظمى كانت تدعى السحل والشنق والتربيع (drawn and quartered ، hanged)، ففي البداية يقومون بسحل وجر المحكوم عليه في شوارع المدينة (سحل) وصولا إلى إحدى الساحات العامة حيث يشنق المحكوم بطريقة لا تنكسر معها عنقه

(شنق) ويتم إنزاله من المشنقة قبل أن يفارق الحياة فيمدد على مصطبة وتشق بطنه بعناية بواسطة سكين حادة ثم يقوم الجلاد باستخراج أحشاءه وأمعاءه، ويحرص الجلاد على أن يبقى المحكوم حيا أثناء استخراج أحشاءه ليقوم بحرقها أمام عينه، ويكون أخر عضوين يتم استخراجهما هما القلب والرئة بعد موت المحكوم طبعا. ومقارنة بهذه الطريقة البشعة للإعدام فأن القتل السريع هو رحمة ما بعدها رحمة لذلك عادة ما يلتمس ويتوسل المحكومون لكي يتم قتلهم سريعا فيتخلصوا من عذابهم الفظيع. وبعد موت المحكوم يفصلون الرأس ثم يقسمون الجسد إلى أربعة أقسام (تربيع)، ويتم وضع الرأس والأطراف في الماء الساخن لتغلي بشكل جزئي ثم يعلق كل جزء في ساحة أو باب رئيسي من المدينة. هذه العقوبة المرعبة كانت تطبق على الرجال فقط أما النساء فكانوا يكتفون بشنقهن. وقد ألغيت طريقة الإعدام هذه في انجلترا عام ١٧٩٠، علما بأن معظم الأمم كانت تطبق هذه العقوبة بشكل أو بأخر، فتقطيع جسد المحكوم وعرضه في أنحاء المدينة كان أمرا متعارفا عليه في العصور الوسطى ليس بسبب قسوة الحكومات فقط ولكن لأنها ببساطة كانت الطريقة والتقنية الوحيدة آنذاك لإثبات موت الثوار أو المجرمين الخارجين عن القانون وكذلك لتخويف عامة الشعب من عاقبة الخروج عن طاعة الحاكم.

٣ – بيرسركر (Berserker) : محاربين اشتهروا بوحشيتهم التي هي اقرب إلى الجنون، كانوا يرتدون جلود الحيوانات ويقومون بحرق وسلب وقتل كل شيء أمامهم بدون تمييز وبدون توقف، ويقال أنهم في ثورة جنونهم تلك كانوا لا يميزون حتى زملائهم ورفاقهم في القتال.

الخلاصة أنهم كانوا وحوشا بشرية مخيفة لا تكل أو تمل من القتل والتدمير، ويعتقد بعض الباحثين اليوم بأن البيرسركر كانوا يقاتلون تحت تأثير الكحول وبعض المخدرات القوية وهو الأمر الذي يفسر تصرفاتهم غير الطبيعية.

٤- حق السيد أو حق الليلة الأولى (**Droit de seigneur - right of the lord**) : هو قانون قديم ولكن هناك جدل بين علماء التاريخ حول حقيقة تطبيقه. أقدم إشارة إلى هذا القانون وردت في ملحمة جلجامش، ملك أوروك السومرية، حيث ضج سكان المدينة إلى الآلهة بسبب ما يفعله جلجامش ببناتهم فأرسلت الآلهة انكيدو لكي يغير طباعه .. الخ من تفاصيل الأسطورة. وفي التراث العربي هناك أسطورة طسم و جديس (قوم زرقاء اليمامة)، و هما قبيلتان من العرب البائدة، حيث كانت جديس تحت حكم ملك ظالم من طسم لا يدع عروس تزف إلى زوجها قبل أن يدخل عليها هو أولا فيضاجعها، وقد انتقمت جديس من الملك فقتلته غدرا مع العديد من أشراف قومه .. الخ من تفاصيل القصة التي انتهت بفناء القبيلتين. وفي أوربا العصور الوسطى هناك الكثير من القصص والروايات التي تطرقت إلى تطبيق هذا القانون لكن جميعها اقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة، والرأي الأقرب إلى المنطق هو أن هذا القانون ربما كان يطبق على العبيد المملوكين للإقطاعي أو انه كان يستعمل كوسيلة لابتزاز المال مقابل التنازل عن هذا الحق.

٥ – إخراج اليهود من الدول الأوربية ومصادرة ونهب أملاكهم أمر تكرر عدة مرات خلال العصور الوسطى، كان اليهود عادة ما يخيرون بين

ترك دينهم أو مصادرة أملاكهم وإجبارهم على مغادرة البلاد، وعادة ما كان اضطهاد اليهود يتلو العهود المضطربة والكوارث حيث أن اللائمة كانت دوما تلقى على عاتق اليهود على اعتبار أنهم سبب جميع المصائب (مثلما حدث في ألمانيا بعد الهزيمة في الحرب العالمية الأولى)، لذلك فأن الهجوم على بيوتهم ونهب أموالهم واغتصاب نسائهم أمر استمر حدوثه خلال التاريخ الأوربي حتى منتصف القرن المنصرم. ويبدو أن الأوربيين قد كفروا عن تاريخهم الطويل في اضطهاد اليهود والتنكيل بهم عن طريق التنكيل بأمة أخرى في فلسطين!.

٦ – أشهر عشاق إيزابيلا هو روجر مورتايمر، وقد فر الاثنان معا إلى فرنسا ثم عادا مع جيش صغير فهزموا الملك ادوارد الثاني ثم سجنوه وقتلوه سرا وقاموا بتنصيب ابنه ذو الأربعة عشر ربيعا ملكا على انجلترا تحت اسم ادوارد الثالث، ولأن الملك كان قاصرا فأن الملكة قامت مع عشيقها بإدارة المملكة غير آبهة بالغضب والنار المتأججة في قلب الملك الصغير وهو يرى أمه في أحضان عشيقها على عرش أبيه المغدور. وقد انفجر هذا الغضب في إحدى ليالي عام ١٣٣٠ حين قام الملك الشاب بانقلاب مفاجئ على أمه وعشيقها فألقى القبض عليهما بمساعدة عدد من المخلصين له وسجنهما معا، ثم قام بإعدام مورتايمر وقتله شر قتلة غير مبالي لصرخات أمه المتوسلة للإبقاء على حياته. وبعد إعدام مورتايمر نفى الملك أمه إلى قلعة نائية لكنه غفر لها لاحقا وسمح لها بزيارته في البلاط.

لغز رحلة الموت

قافلة طعامها لحوم المسافرين

الجوع كافر! .. قول مأثور يضرب أحيانا لتبرير تصرفات الجائع الذي يقدم على أي عمل لملء بطنه بالطعام حتى لو كان ما يأكله مذموما من قبل الآخرين ، فحتى الديانات المختلفة تبيح لأتباعها أكل المحرمات إذا كان في ذلك حفظا لأرواحهم من الهلاك ، و احد المحرمات الذي تتفق عليه جميع الديانات والقوانين و الأخلاق هو لحم البشر ، لكن الناس استباحوه منذ القدم عند المجاعات و الكوارث و الحصارات الحربية ، خاصة عندما لا يتبقى شيء يؤكل سواه ، و قصتنا اليوم هي حول قافلة بائسة حاصرتها الثلوج في الجبال فلم يعد أمام ركابها سوى التهام لحوم زملائهم ، قصة رحلة مخيفة اقترع مسافروها فيما بينهم حول أيهم يجب إن يذبح و يؤكل!!.

لقرون مديدة ، كانت السفن الأوربية المتخمة بأعداد كبيرة من المهاجرين البيض تمخر عباب المحيط الأطلسي لتقذف بحمولتها البشرية على الساحل الشرقي للولايات المتحدة ، كان القادمين الجدد أناس من شتى المشارب و الأعراق أنهكتهم الحروب و الثورات في القارة العجوز لذلك يمموا وجوههم صوب العالم الجديد بحثا عن حياة أفضل ، و عاما تلو أخر ، تكدس الملايين من هؤلاء الأوربيون الحالمون عند الساحل الشرقي للولايات المتحدة حتى ازدحمت بهم المدن و فاضت بهم الطرق فعمت

البطالة و انتشرت الفاقة و تضاءلت الأعمال و فرص الثراء. وفيما كانت تلك المدن و الولايات الشرقية تضيق بسكانها يوما بعد أخر ، كانت الأجزاء الغربية للولايات المتحدة أرضا بكرا جديدة لم تطأ أقدام الإنسان اغلب أرجائها ، لهذا أخذت قوافل المهاجرين الفارين من زحمة الشرق تتسابق للوصول إليها ، و قد كانت للدعاية الكاذبة التي روج لها سماسرة النصب و الاحتيال دور بارز و فعال في دفع وتحفيز الكثير من الرعاع و السذج لهذه الهجرة الجماعية بعد أن صوروا تلك الأراضي البعيدة القاحلة على أنها تربة غنية تزخر بالمعادن الثمينة و تحفل بمناجم الذهب التي تنتظر معاول و أزاميل القادمين الجدد لتنثر ثرواتها الخرافية فوق رؤوسهم المتخمة بالأوهام.

في ٨ مايو عام ١٨٤٦ غادرت بلدة سبرنغ فيلد الأمريكية قافلة صغيرة مكونة من تسع عربات خشبية تجرها الأبقار ، توزع عليها وحولها ٣٣ مسافرا ما بين رجل و طفل وامرأة هم مجموع عائلات المزارع جورج دونير ذو الأعوام الستة والخمسون وشقيقه جاكوب وجارهم رجل الأعمال جيمس ريد. كان هؤلاء الرجال قد عقدوا العزم على المضي مع عائلاتهم وكل ما يملكون في هجرة طويلة و شاقة تمتد لمسافة ٢٥٠٠ ميل نحو ولاية كاليفورنيا في أقصى الغرب الأمريكي ، وقد خططوا للوصول إلى غايتهم تلك خلال أربعة أشهر فقط ، على ان تبدأ الرحلة فور توقف هطول الأمطار الربيعية و تنتهي قبل حلول الشتاء. كان التوقيت عاملا مهما في نجاح رحلتهم لأن أي تأخير كان يعني ان الشتاء سيدركهم وتحاصرهم الثلوج وسط الوديان والجبال النائية. كانوا يعلمون أن هناك الكثير من

الأنهار و الفيافي القاحلة و الجبال الوعرة التي عليهم تجازوها بسلام ، وهناك أيضا خطر قطاع الطرق المتربصين بالقوافل من اجل سلبها و نهبها، و هجمات الهنود الحمر الناقمين بسبب استيلاء المستوطنين البيض على أراضيهم. لكن الأمر الجيد و المشجع بالنسبة لجورج دونير و رفاقه هو إدراكهم بأنهم لن يكونوا وحدهم في رحلتهم الطويلة تلك ، فقوافل المهاجرين كانت تتدفق كالسيل العارم تحمل معها آلاف البشر من شتى أنحاء البلاد نحو غاية واحدة ، ولم تلبث قافلة دونير الصغيرة أن ذابت في ذلك السيل المتدفق بلا هوادة فانضوت تحت راية قافلة اكبر يقودها رجل يدعى وليم راسل.

لمدة شهرين سارت قافلة راسل بمحاذاة خط سكة حديد قطار كاليفورنيا حتى وصلت إلى نهر ليتل ساندي حيث توقفت وخيمت عنده لعدة أيام ، هناك اتخذ جورج دونير و رفاقه قرارهم الخاطئ و المأساوي بالانفصال عن قافلة راسل الكبيرة و المضي منفردين عبر طريق قديم يدعى هاستنغ كتاوف ظنا منهم بأنهم سيختصرون المسافة المتبقية من سفرتهم ، وقد انضم إليهم في مغامرتهم الطائشة تلك بعض المسافرين من القوافل الأخرى فأصبح عددهم ٨٧ مسافرا توزعوا على ٢٣ عربة انتظمت في قافلة جديدة بقيادة جورج دونير.

في ٣١ أغسطس ١٨٤٦ انطلقت القافلة الجديدة عبر المعبر القديم ، كان مسيرها خلال الأسبوع الأول سريعا و مشجعا ، لكن المتاعب لم تلبث أن أدركتها أثناء اجتياز صحراء الملح الكبرى و الجبال المحيطة بها فنفقت بعض الأبقار و الخيول و لحقت أضرار كبيرة بعدد من العربات ، و تعرضت

القافلة لهجوم الهنود الحمر ، ولفظ احد المسافرين أنفاسه خلال الطريق ، و لم تصل القافلة إلى نيفادا إلا بشق الأنفس متأخرة ثلاثة أسابيع عن موعدها المقرر فتوترت أعصاب الرجال واخذوا يتبادلون اللوم و العتب. و قتل احد المسافرين على يد جيمس ريد على اثر مشاجرة عنيفة نشبت بينهما فعوقب السيد ريد بطرده من القافلة و إبعاده عن عائلته.

في نهاية شهر أكتوبر وصلت القافلة إلى سلسلة جبال سييرا نيفادا الممتدة على طول حدود ولاية كاليفورنيا ، كان جورج دونير و رفاقه يعلمون بأنهم تأخروا كثيرا في الوصول إلى هذه النقطة من رحلتهم لذلك ساروا بأقصى سرعة على أمل أن يجتازوا الجبال الشاهقة قبل أن يدركهم الشتاء ، لكن الحظ خذلهم هذه المرة ، فعلى مسافة يوم واحد فقط من المعبر المؤدي للخروج من المرتفعات اخذ الثلج يتساقط بغزارة.

خيم الخوف على جورج دونير وهو يراقب حبات الثلج البيضاء وهي تتهادى ببطء نحو الأرض ، لقد أدرك جيدا بأن رحلتهم تحولت الآن إلى سباق محموم مع الموت لذلك حث المسافرين على مواصلة السير ، لكن حين حل المساء كان التعب والإعياء قد نال من الجميع ، والتمست النساء المنهكات من السيد دونير أن يخيموا قرب بحيرة – تعرف اليوم بأسم بحيرة دونير – على أمل أن ينقطع الثلج أثناء الليل ، فوافق الرجل على مضض و هو يتوقع الأسوأ ، وقد صدق حدسه لأن الثلج هطل طول الليل ، وحين طلع الصباح كانت كتلة ثلجية هائلة وصل ارتفاعها إلى عشرين قدما قد سدت المعبر.

حوصرت قافلة دونير تماما ، أغلق الثلج كل سبلها فما عادت تستطيع التقدم ولا العودة ، وأيقن المسافرون بأنهم سيمضون الشتاء في هذه البقعة النائية و لمنعزلة من الأرض ، وقد أدركوا حجم مأزقهم المميت بعد أن أخذت مؤنة القافلة من الطعام تتقلص بالتدريج حتى نفذت تماما فعمد الرجال إلى ذبح حيوانات القافلة من أبقار وخيول حتى أتوا عليها جميعا خلال فترة قصيرة ، وحين لم يعد هناك أي طعام حاول بعض الرجال صيد الحيوانات البرية لكن ما اقتنصوه من سناجب وعصافير صغيرة لم يكن ليغني عن جوع أكثر من ثمانين شخصا نصفهم من النساء والأطفال. في النهاية اضطر المحاصرون في القافلة إلى التهام لحاء الأشجار وأغصانها و قام بعضهم بسلق جلود الحيوانات الميتة وتناول حسائها.

في غمرة اليأس الذي خيم على القافلة ، قرر بعض المسافرين الانطلاق في رحلة ماراثونية من اجل الحصول على المساعدة وإحضار فرق الإنقاذ. كانت المهمة صعبة لأن اقرب منطقة مأهولة بالسكان كانت عبارة عن حصن جبلي يقع على بعد ١٦٠ ميلا ، وقطع هذه المسافة من الجبال الوعرة الباردة المغطاة بالثلوج بدون مؤنة كافية من الطعام كانت في نظر الكثيرين رديفا للمستحيل. لكن الرجال العشرة – ثمانية من البيض واثنان من الهنود الحمر – والنساء الخمسة الذين تكونت منهم مجموعة النجاة كانوا قد عقدوا العزم على المضي في رحلتهم أيا ما كانت النتائج. كانوا يدركون ان فرصة وصولهم إلى هدفهم و النجاة من الموت جوعا وبردا تبدو ضئيلة للغاية لذلك اختاروا لأنفسهم اسما يدل على صعوبة مهمتهم و هو "الأمل البائس" ، وانطلقوا في رحلتهم تلك ، محملين بالقليل

من الطعام و بعض البنادق القديمة و أحذية للمشي على الثلج صنعوها بأنفسهم من عظام و جلود الحيوانات الميتة.

سار أفراد "الأمل البائس" تسعة أيام وسط الثلوج قبل أن يدركوا بأنهم يسيرون في حلقة مفرغة و أنهم قد أضاعوا سبيلهم تماما وسط هذا البساط الأبيض اللامتناهي الذي يحيط بهم من كل جانب ، كانت مؤنتهم من الطعام قد نفذت منذ ثلاثة أيام فاخذ الجوع ينهش أحشائهم وأصابهم الضعف و الإعياء و راحوا يتعثرون في خطاهم ما بين منكب على وجهه لا يقوى على القيام ومتكأ على جذع شجرة يقاوم السقوط ، وفي لجة الموت المحدق بهم من كل صوب وحدب ، راح أولئك البائسين يفكرون في طريقة للنجاة فتوصلوا إلى حل عجيب هو اقرب إلى تلك الحلول التي نسمع عنها في الخرافات والأساطير ، فحين أرخى الظلام سدله ذلك المساء تحلق أولئك المسافرون الجائعون والمنهكون حول نارهم الموقدة في العراء واتفقوا على أن يقترعوا فيما بينهم بأعواد القش (٢) والخاسر يجب أن يذبح كالشاة و يؤكل من قبل الفائزين!. وقد كان باتريك دولان ، ٣٥ عاما ، هو سيء الحظ الذي سحب القشة الخاسرة في قرعة الموت تلك ، ولك عزيزي القارئ أن تتخيل الرعب الذي اعتصر قلب الرجل المسكين وهو يطالع وجوه وعيون رفاقه المحدقة به كأنها ذئاب تتأهب لنهش لحم فريستها. ما حدث بعد ذلك هو أمر قد لا يعلم حقيقته سوى الله تعالى ، فالناجين من مجموعة "الأمل البائس" قالوا فيما بعد ان أيا منهم لم يطاوعه قلبه على قتل السيد دولان وانهم لم يمسوه بأذى تلك الليلة ، إلا إن الرعب و الوسواس الذي أصاب الرجل و خوفه من زملائه دفعه إلى الهرب و الاختباء وحيدا

داخل الغابة ، وفي صباح اليوم التالي عثر أفراد المجموعة على جثته المتجمدة متكورة عند جذع إحدى الأشجار فعاجلوها بسكاكينهم تقطيعا وسلخا ثم أقاموا "حفلة" شواء صغيرة التهموا فيها جزءا من لحم الجثة واحتفظوا بالباقي لقادم الأيام.

طبعا هناك شكوك عديدة تلقي بظلالها القاتمة على موت أو مقتل السيد دولان ، فأغلب الناس يعتقدون أن رواية هروبه و موته متجمدا في الغابة ما هي إلا قصة مختلقة من قبل زملائه الذي قاموا على الأرجح بقتله بأنفسهم تلك الليلة لكنهم أنكروا ذلك فيما بعد بسبب بشاعة الجريمة والخوف من أن يحاكموا و يعدموا شنقا بتهمة القتل.

لكن رحلة الموت والرعب لا تنتهي هنا ، ففي ذلك اليوم الذي قتل فيها السيد دولان رفض الهنديان الأحمران المرافقان للمجموعة تناول لحمه، والظاهر أن تلك الوليمة البشرية قد أثارت اشمئزاز وخوف الرجلين فافترقا عن الآخرين وتواريا بين أشجار الغابة. ثم مضت تسعة أيام نفذ خلالها لحم السيد دولان ونال الجوع والإعياء من أفراد مجموعة "الأمل البائس" مرة أخرى حتى اشرفوا على الهلاك ، لكن القدر جاد عليهم بالمزيد من اللحم البشري! فبينما إحدى سيدات المجموعة تمشي بمفردها بين الأشجار في الغابة ، ربما لقضاء حاجة ، عثرت فجأة على الهنديان الأحمران اللذان كانا قد هربا في الأسبوع المنصرم وهما يلفظان أنفاسهما بين الثلوج ، وزعم الناجين من المجموعة ان الهنديان كانا يحتضران بسبب الجوع والبرد وأنهما لم يكونا ليعيشا لأكثر من ساعتين ، لذلك وضعوا رصاصتين في رأس كل منهما ، ربما بداعي العطف والرحمة!! ،

ثم قطعت أجسادهم النحيلة على عجل وسرعان ما عبقت أجواء الغابة النائية برائحة الشواء مرة أخرى.

مثل قصة موت السيد دولان فأن حكاية فرار الهنديان الأحمران إلى الغابة والعثور عليهما يحتضران بعد تسعة أيام تبدو ساذجة جدا ولا تنطلي على احد ، واغلب الظن ان الرجلين قتلا وتم التهامهما لأنهما كانا الطرف الأضعف بين أفراد مجموعة "الامل البائس" ، فالهنود الحمر في ذلك الزمان لم يكونوا يتمتعون بأي حقوق و ما كان لرجل ابيض أن يحاكم بتهمة قتل هندي احمر.

في ١٨ يناير ، بعد حوالي الشهر على انطلاقها ، وصلت مجموعة "الأمل البائس" أخيرا إلى إحدى المناطق المأهولة بالسكان ، كان المتبقين على قيد الحياة هم سبعة فقط ، والطريف في الأمر هو أن من بين الرجال العشرة الذين انطلقوا مع المجموعة في البداية اثنان فقط بقوا على قيد الحياة أما النساء الخمسة فلم تمت أي واحدة منهن ، وطبعا ما كانت النساء لتنجو لولا أنهن التهمن لحوم الرجال المساكين!! ، وقد اعترف الناجون صراحة فيما بعد بأنهم التهموا لحوم زملائهم الموتى اضطرارا لكي يبقوا على قيد الحياة و لكنهم أنكروا أن يكونوا قد قتلوا أي منهم زاعمين بأن الرجال الثمانية (احدهم صبي في الثانية عشر) ماتوا جميعا بسبب البرد والجوع والمرض.

بعد وصول مجموعة "الامل البائس" توجهت أربعة قوافل إنقاذ نحو قافلة دونير المحاصرة في الجبال ، لم تكن عمليات الإنقاذ سهلة بسبب

بدائية الوسائل المتبعة آنذاك و وعورة المنطقة و خطورتها. الوجبة الأولى من المنقذين صدموا لما شاهدوه داخل المخيم ، كان من تبقى على قيد الحياة من المحاصرين أشبه بأشباح الموتى ، وجوههم شاحبة و عيونهم غائرة ذابت أجسادهم و تحولت إلى هياكل عظمية لا يميزها عن جثث الموتى سوى أنفاسها المضطربة.

في عربات القافلة وحولها تناثرت جثث البشر والحيوانات ، بعض الجثث البشرية كانت مشوهة انتزعت منها الأفخاذ و الأوراك ، وبدا جليا أن الناجين مارسوا أكل لحوم الموتى.

كان عدد الناجين ٤٧ شخصا من ضمنهم زوجة جيمس ريد و أطفاله الخمسة أما الموتى فكانوا ٣٩ من ضمنهم جورج دونير نفسه الذي فارق الحياة بسبب تعفن جراح أصابت يده و كذلك زوجته تامزن التي كانت جثتها قد تعرضت للأكل من قبل شخص يدعى لويس كيسبيرغ ، ولويس هذا هو أخر شخص غادر المخيم برفقة قافلة الإنقاذ الرابعة و قد تعرض بعد نجاته إلى التهديد من قبل عدة أشخاص لأنه كان قد اكل من جثث ذويهم وأقربائهم في المخيم.

اليوم هناك نصب تذكاري قرب بحيرة دونير يخلد ذكرى أولئك المهاجرين الذين قضوا نحبهم في مخيم الموت. صحيح أن قصتهم ترافقت مع الكثير من الفظائع ، وصحيح أيضا أن رحلة أولئك الرجال والنسوة الذين انطلقوا في رحلة مضنية عبر الثلوج للحصول على النجدة صاحبتها العديد من الحوادث المثيرة للاشمئزاز ، لكن يجب أن نتذكر في النهاية بأن

تلك البشاعات ارتكبت اضطرارا وأن أولئك الناس البسطاء لم يكونوا من عشاق اللحم البشري ولا تخيلوا أن يتناولوه في يوم من الأيام ، لكن كما أسلفنا في بداية المقال فأن الجوع كافر و الحياة عزيزة على نفوس معظم الناس – لا يغرنك لعن بعض الناس إياها في زمان الراحة والاطمئنان فذات أولئك اللاعنون تراهم يتمسكون بها حتى الرمق الأخير ويبذلون دونها الغالي والنفيس في أوقات الشدة – وربما لو تعرضنا نحن أيضا إلى نفس الظروف التي أحاطت بالمحاصرين في قافلة دونير لكنا سنتناول ما تناولوه

وكنا لنتفنن في طبخه وشواؤه ...وكنا لنملئ منه البطون .. ربما .. من يدري؟!.

١ – العديد من الولايات الغربية و الجنوبية لما يعرف اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية (أكثر من ثلث مسحتها الحالية) هي في الحقيقة أراض احتلتها أمريكا من المكسيك خلال الحرب الأمريكية المكسيكية (١٨٤٦ – ١٨٤٨) ، تلك الحرب التي خسرت خلالها المكسيك نصف أراضيها (تكساس – نيومكسيكو – كولورادو – أريزونا – يوتاه – نيفادا – كاليفورنيا).

٢ – تؤخذ مجموعة من أعواد القش أو الحشائش البرية و تقطع بأطوال مختلفة ثم يساوى بين رؤوسها و تضم معا بين كفي احد الحضور بحيث لا يستطيع المقترعون معرفة أو تخمين أطوالها و الخاسر هو من يسحب اقصر قشة.

فهرس